روایة

من الملوم

WHO IS TO BE BLAMED?

QUI DOIT-IL ETRE BLAME?

كلٌ يعدُّ رأيه على هدى فمن هو الملومُ منا يا ترى

روايةٌ ادبيةٌ غزليةٌ حقيقةٌ

بين شابٍ سوريٍّ وفتاةٍ افرنسية

بقلم

ميخائيل ناصيف زربطاني

By

Michael N. Zarbatany

طبعت في مطبعة جريدة المحيط نمره ٥٣ شارع وشنطون — نيو يورك
في بدء كانون الثاني ١٩٠٦

ISBN of reproduction: 978-1-77096-188-3

توطئة

انّ ما حدا بي على نمق هذه الرواية هو ثقتي بواقعية حوادثها برمتها . وقد اقدمت على نشرها لما يتخللها من الحوادث والمواضيع التي تفيد السوريين في ديار الهجرة واراني في هذا المقام مفضلاً الاقتصار على الاسماء الشخصية في روايتي مجتزئاً بذلك عن اسماء الاسر طمعاً بارضاء اشخاص الرواية القريبين مني نسبة ومقاماً

واخالني ثاني من وضع في اللغة العربية رواية حقيقية (بذكر اسماء اعلامها الشخصية فقط) جرت بين شاب سوري دمشقي وفتاة افرنسية كندياينة خلال ربيع ١٩٠٤ وقد اسفرت نتيجتها عن قطع العلائق الحبية والكتابية بينهما البتة مع ان القلبين لايزالان ذائبين حنيناً لبعضهما كما علم كلٌّ من ربيهما عن الاخر بوسائل سرية استطلع بها احدهما حال الثاني . وكان علة هذا الجفاء على الترجيح آل الشاب ولهذا دعوتها (من الملوم) ليحكم القارىء الكريم في الختام بالقسط (من الملوم)

اقدم قصتي هذي اليكم   وفيها ما يسرُّ به الحكيمُ
فارجو منكم ان تقبلوها   بايدي الحبِ ذلك ما اروم
ولم اصدر بها حكماً لاني   اريد الحكم يصدره العمومُ
تصفح ايها القاري بحذقٍ   فتعلم بعد ذلك من الملومُ

ميخائيل ناصيف
زربطاني

١

في احدى ليالي الصيف البديعة وهي الثانية عشرة من شهر ايلول عام ١٩٠٤ انتضدَ عقد قوم من الاحباب زها بالسرور المتبادل بينهم وتالقت انوار الصفاء في سماء المنزل منعكسة عن رؤى الاخدان الحميمين الذين هم سور يو البجدة

وكان التأمهم في منزل صديقهم توفيق في مدينة ثلاثة الانهر (ثري ريفرز) من اعمال كندا . وهي القسم الشمالي من قارة اميركا وذلك بداعي تنصير طفل توفيق الذي رزقه اياه مولاهُ قبل العهد المشار اليه بخمسة اسابيع . فدعا الى تعميد ابنه كاهن الرعية قدس الخوري جرجس من المدينة المجاورة المدعوة « منتريال » الحاوية جسماً كبيرًا من الجالية السورية . وانتخب توفيق كفيلا لابنه قريبه ميخائيل من نفس مدينة الكاهن

ألفَ الحضور دائرة وهم وقوف بترتيب يحيطون باناء الماء والكاهن الذي سدا بيديه نحو الطفل عريانًا فتناوله وغمسه في الماء ثلاثًا بعد ان سماه ميخائيل باسم عرابه . وكان الجميع منتصبين على اقدام السرور لما لحب رب المنزل من المكانة العليا عندهم وعيونهم تهمي عبرات الابتهاج وهم عُنقاً الى الطفل الى ان تمَّ الاحتفال بتنصيره

وكان بينهم سيدةٌ كنديانية افرنسية المحتد نبيلة الاخلاق وهي مالكة البيت الذي يقطنه توفيق واتفق وجودها في تلك الحفلة

مع افراد السور بين الذين الفت طباعهم بدعوة من احدهم . وقد صحبتها ابنتاها الكبيرتان المدعوتان حنة ولوسيا . فسررن جداً مما شاهدنه من كيفية احتفالات وطقوس الشرقيين وتلك كانت المركة الاولى لمشهدٍ كهذا شهدنه

وقد أبدين ارتياحاً الى ذلك ابان الاحتفال بالعماد ولاحت على وجوههن امارات السرور من ذلك الاشبين الحديث السن الذي سعى بادىء بدء لعدم قبوله لان يكون عراباً او اباً روحياً للمولود لان مركزه السني لا يؤهله لتلك المرتبة الشريفة المتطلبة كمالاً وفضيلةً ولكنه اجاب اخيراً بالقبول خشية حمل الظن من داعيه لذلك

واذ حان موعد تقديم الطعام دعا ميخائيل تلك العائلة الغريبة الى مناولة العشاء مع آل البيت . فاجابت الثلاث طلبه واحتاط آل البيت والثلاث وميخائيل بالخوان (المائدة) و بقصد الفكاهة اقترح بعض افراد المنزل على ميخائيل ان يتخذ كرسياً محاذياً للابنة حنة فكان كذلك . وكأن اكليل المسرة توّج هامي الفتيين منذ تدانيا . ودام بهما الحال هكذا الى ان قرع الجرس الداخلي منذراً بالاكتفاء من الطعام فتناءيا وسعيا الى العودة لرشف قرقف اللذة السابقة

٢

اما حنة فهي افرنسية الاصل كنديانية الموطن حسنة الخلق والخلق ومن ترب ميخائيل سناً ان لم تكن احدث منه ومن اسرة عريقة . وقد تلقنت في المدرسة والدير العلوم التي تحتاجها و بعد ان تخرجت في الادب رامت ان تتعلم صنع القبعات النسائية واصلاحها فدخلت محل ابنة خالتها لتلك الغاية وحازت قصب السبق عليها

وهي بارعةٌ في الجمال ذات عينين زرقاوين تحاكيان عيني ميخائيل تماماً وقد تكون تلك العيون هي الباعث على الاتفاق الذي نأتي على ذكره او بالحري نحن بصدده . معتدلة القامة ذاتُ ذكاء فائق يؤيده ما سيردُ في حينه . اخت الادراك البعيد الشأو ولين الجانب والمصانعة حسنة التربية التي قل عنها التربية الشرقية المعهودة . فانها لاتجسرُ على الظهور من منزلها الا مرفوقة باحد اخوتها او اخواتها او والدتها

وهكذا شبت هذه الابنة الشريفة على خير الخلال بخلاف اولئك البنات الافرنجيات ذوات الحرية المعروفة . وامها ترملت في ريعان الصبا ولم تشأ التزوج ثانية حباً باولادها لانها رغبت في تربيتهم على اخلاقها النقية وهي تقية تواظب على الكنيسة يومياً ومثلها ضنوُها

فحنة كان قد خطبها شابٌ من جنسها ومدينتها وهو من طلبة

احدى المدارس العالية الداخلية فوهبها قلبه ووصلها في حبه العميق العفيف . واذ عزم في بدء السنة المدرسية على مبارحة تلك المدينة لانهاء علومه في المدرسة الملكية الرئيسية في مدينة (تورونتو) من اعمال انتاريو في كندا جاء لوداع مالكة فواده حنة وبقلبه لهيب ايقن بازدياد اضطرامه ابان غيابه الى ان يتسنى له العود لرؤيتها فيطفى تلك الضرمة بمياه الالتقاء والقربى الدائمة وقد عول على التزوج بها بعد ايابه من سفرته

فجلس واياها يتحادثان في المواضيع المختلفة وكان يوصيها بعدم اهمال مراسلته الغير المنقطعة الحاكية مكاتبته المتواصلة او بالحري اليومية الى ان قال لها :

حبيبتي حنة احذرك بالاً تتلقي رسائل من مصادر غريبة اذ يدلُّ ذلك على قبولك وارتياحك الى مكاتبة الغير ولا احب ان اعلم انكِ كتبت الى احد او كتبَ احد اليكِ . ولاار يدك ان تقبلي احداً يزوركِ اياً كان ولا اشاء ان ياتي احدٌ محل شغلك اثناء النهار ليراك هنالك . ولا ارغب في ان تصرفي سهرة مهما قصر وقتها خارج بيتك لانني اعتقد انك لي ستكونين وليس لاحدٍ سواي . فاقلعي عن الافتكار بالغير ان كان لك علاقة به واعلمي بانني انا الفرد الذي تكونين انت الوحيدة له وهكذا يدوم كلٌّ منا للاخر . والاَّ فانكِ تثيرين خاطري فيتولاني الغم والقنوط ولا املك عنان خلقي ولعلي بهذا اسيء الى نفسي فيلحقك

بعض الاساءة وانت كما اعلم لاتودين ذلك

فمن حب حنة له ومحافظتها على الاداب وحقوق المصادقة اذعنت باوامره وكانت تجيب على كل بند اشترطه عليها : نعم . نعم . كما تشاء . ليكن كما تريد انني لا اقتبل فيما بعد رسالة من احد ذكرا او انثى . ولن ينل سواك مني حرفاً واحداً باي معنى كان . تم الحديث وام حنة مصغية لكل كلمة بتكلمانها فتأثرت كثيرا لسماعها الشاب آمراً على ابنتها بلهجة عنيفة وسانا لها شروطاً صارمة ومهدداً اياها بما لم يفهم . فهمت مراراً لتعنيفه على ذلك وطرده ان اقتضاه الحال لكنها احجمت عن العمل وسكنت جاشها ولم تنبس ببنت شفة واضمرت في نفسها عدم تحقيق امنيته من ابنتها — وسكوتها عندئذ لانها ادركت ان حنة مرتاحة الى كلام خطيبها مهما كان مراً

واذ كانت الساعة العاشرة ليلاً انصرف الخطيب مودعاً حنة و بقلبه الوف الحسرات على ما يحرمه من مشاهدتها ردحاً مخلفاً لها التأثير والوحشة . لانها كانت تحبه كثيراً لكنها لم تتجرأ او تنقبت ببرقع الخجل عن ايضاح حبها له

فتقدمت تلك الام الرؤوم من ابنتها وخاطبتها قائلة :

ولدي . انا لا اريد ان تكتبي لذلك الشاب فيما بعد ابدا

— ولماذا ؟

-- أنسيتي ما كان يتطلبه منكِ ويشترطه عليكِ ؟

— ولمَ لا اعمل بقوله ؟

— يجب ان تكوني عاقلة يا حبيبتي و بعيدة المرمى في فهم شروطه فتدركي غايتها الممزوجة بالاستبداد وحب الذات والغيرة والحسد وتحققي عندئذ انه غيور وحسود جدا وذو الصفتين المذكورتين عدوي فهل تؤمين التزوج بعدو امكِ يا سواد قلبها ؟

— لا ليس بعدو امي . ومتى ساوركِ البغضاء ؟ . كم كنتِ تحبينه قبل هذه الساعة فما دعاكِ الى هذه البغضة الاختلاقية ؟

— حبيبتي . كنت اود ذاك الشاب كثيراً بل اكثر منك لكني عند ما تحسست وفهمت موضوعكما الاخير لم تعد لي طاقة على احتمال كلامه وهممت بطرده من منزلي لو لم تتداركني الحكمة وحب الشرف . فاننا ياعزيزتي حرائر ولا من باعث لكل ما اندفع به من الحديث الاخير . وموافقتك لقوله وعدم دفعك اياه بالحجة الدامغة يثبتان له الريب بكِ من حيث العلائق مع سواه فالحق اذا عليك بالسكوت وليس بحرٍ من خطيبك ان يفاتحك بقول تافه كهذا فياللخجل

— لو اقدمتِ على طرده لسبقته الى خارج الباب وشققت عصا الطاعة لك هذه المرة ولو لم اجرِ ذلك في حياتي

= لا اتوقع منك ان تجيبيني هكذا يا ابنتي اعهدي بك الروية والحكمة ويجب ان لاتدعي حبك اعمى يسبل ذيل المعذرة عن كل هفوات وسيئات خطيبك نحوكِ . الا تعلمي يا حبيبتي ان

اوامره التي القاها عليك لهينة جداً بجنب تلك التي ستعقب بكل تانيب عنيف وقصاص شديد ؟ استوعبي يا ولدي قليلاً فيما كان يبلغك اياه من البهتان وما كان يهددك به ولو لم يفصح

— مهما كان الامر فانا احبه و بناءً على حبي له يجب ان اطيعه . وان كنت تريدين جذبي عن محبته والعمل على قطع كل علاقة لي معه فسترين ما لا يسرك وتندمين على ما جئت به ولا اودُّ منك ان تشددي عليَّ اكثر من ذلك والا فالبزيادة

قاطعتها امها قائلة :

انا ابينُ لك خطاك في عملك وتصويب سهمي نحو هذه الرمية فاما ان تصوبي رايي وتعملي بمشورتي فتربحي ادعيتي ورضاي وتعيشي سعيدة دهرك والا فالراي لك في اللبث مصرة على عنادك . وستلقين في حياتك عيشاً مضاً مع رفيق صباك الذي قد ترينه اليوم ملاكاً منزلاً من السماء والحقيقة هي بخلاف ما تتصورين بل كفى ان قلت لك انه حقود وحسودٌ وغيور . (لان الغيرة هي حمية الرجل فلا يشفق في يوم الانتقام) اخذاً بقول سليمان الحكيم

يا حبيبتي تروي قليلا وارعيني سمعك واعلمي بانك في خلال اقامتك مع بعلك هذا لا تجسرين على التفاتة لليمين والشمال الا وعين الزوج مراقبة بتيقظ لكل دقيقة من حركاتك لانتقادها فآه كم انا لم لحزنك يا ابنتي التي ربيتها مضحية نفسي لاجلها واجل

اخوتها ورفاهتهم . وقد ابيت الزواج ثانيـة لاصرف همي الى تربيتكم

فمالي سوى سوآل المهيمن العظيم هديكِ لما فيه خيركِ ونجاحك في المستقبل والهامك لمقت ذلك الشاب فتكسبي حياتك الثمينة وصحتك في جسمك اللطيف كوني اذاً عاقلة واعملي بقولي لان الحكيم سليمان قال : حكيم القلب يقبل الوصايـا . وغبيُّ الشفتين يصرع

اصاخت حنة لكلّ كلمة فاهت بها امها وعلمت ان قولها حق لكنها لم تحول افكارها عن غايتها للساعة واذ ادركت الوالدة ان ابنتها فهمت قوة الكلام وعولت على العمل به ايقنت انه رسخ كالاساس في عقلها وانّ ما سياتي من الايام والانذار يعمل على تتميم البناء بمناصرة العامل الاقوى وهو النوى . وقد قيل : البعد جفاء

٣

بارح الخطيب المدينة فسطر كتاباً في القطار ونمق آخر في اوّل بلدة حلت ركابه ووشى ثوب الثالث في مدينة ثانية وحرر آخر في مدينة تورنتو وكتب خامساً في الفندق الذي نزله تلك الليلة وطرّز حلة السادس حال دخوله المدرسة ومنه للعشرات يومياً

كانت تجيبه حنه على البعض وتهمل الآخر حتى ثبتت اواسي البغضاء على سويداء قلبها وتمكنت منها تماماً فكرهته واحتقرته وعدّته كعدوٍّ لها واخيراً صرّحت علانيةً بان حبها له لم يكن لتستطيع قوة تحت السماء ازالته . وقد تقلص ظله وانمحق بدره بصلوات امها المتوالية التي استجابها الله

كان يكتب خطيبها ولا من مجيب ويعلل عن سبب هذا الجفاء ولا من مفيد . فتاثر كثيراً وقلق واضطربت افكاره فبعث لها بنميقةٍ نهائية موءلفة من ثماني صفحات وهذه زبدة ما جاء فيها :

ان حبي لك لا عظم من ان يوصف . ولا ارى في لغتي كلاماً يقوم بالتعبير عما في ضميري نحوكِ " ولِمَ لا احبكِ فانكِ جميلةٌ اديبةٌ عاقلة متى احببتِ اخلصتِ محبتكِ وانقطعت لها (وصارت قويةً كالموت) وماذا اشهد عليكِ " اجتزيء بقولي الذي اثق بانه شهادة حقة انك ملاك ارضي

فيا ايها الملك اشفقي على صبٍّ مضى ان لم اقل على خطيبٍ لكِ تتوقف حياته على ميلكِ اليه " اذكري ياحبيبتي انّ وقت المدرسة في مدينة منتريال يقتضي سنتين فسعيت جاداً في انهاء علم العامين في ستة اشهر وتحيياً معظم تلك الليالي الليلاء التي وصلتها بالنهارات بالدرس والمطالعة حتى افلحت " رغبةً في ايجاز المدة المدرسية والحظوى بكِ قريباً ماعدّ نفسي سعيداً اما الان فتعيسٌ انا وقد يقضى عليّ اذا تمّ المظنون ياحنة

آه ايتها الدرة اليتيمة · ان رسائلي الاربع السابقة لم تحرز مراجيعها فما ذنبها بل ما ذنب كاتبها ؟

ما لك ياعزيزتي · ان لم يكن الجرم في هذا الامر ملقىً على عاتقي فعلى من يكون ؟ لا احب ان اقول الحق عليكِ لئلا اخطئ فآه ماذا اكتب وماذا اعمل · · · ارجوكِ حبيبتي حنة ان تقولي لي ماذ خامرك من الافكار · · · دعيني ارَ نوراً ولو ضئيلاً به اتأسى واقول انني تطمئنت بمعرفتي الداعي الذي دفع ذلك الملاك الارضي للصدِّ والاعراض · · اطلب اليك احارة الجواب ولو بعبارة وجيزة وحسبي ذلك

انَّ يراعي لا يجري ومدادي لايسيل وقريحتي لاتجود اكثر مما رقمت في كتبي الآنفة · فان كتبت شيئاً الان فهو ناجم عن لوعة قلبي والتهابه

ان البلابل قد اضاعت رشادي · والبرحاء ابلغت روحي التراقي · والدوار اخذ في راسي · فلا استطيع الى الدرس سبيلاً ولا احسن تنضيد عباراتي الان كما تقتضي · ولست اهلاً لاكون طالب علم بل طريح اضطراب ومتوسد شجون · بل الاجدر بي ان اجمل معاجي لحداً لارتاح او تفتح الارض فاها فتسترطني لاختفي من عالم الوجود

لا جداءَ من اسهابي · بل كفاني القول في الختام : ارحمي قلبي ياحبته واجيبي رقيمي هذا دفعاً لكل قنوط يستولي عليَّ

ويضطرني لقطع المكاتبة ابداً ويحملني على عـدم الاياب الى مدينتي (ثلاثة الانهر) ولن ارى ارضي فيما بعد وستجرم امي من روءيتي ايضاً » فتكونين انتِ العامل الوحيد على حرماني من مشاهدة آلي وذوي ومعارفي . وصدي عن منابهة اشغال تعود بالخير عليّ وعلى من ذكر » « ان جفاكِ هو السم الوحيد المنفذ الى كبدي الحرّى والقاضي عليّ

تعطفي حبيبتي وسيدتي فاكتبي واعربي حقيقة الامر ودعيني آخذ الوكتك برجوع البريد فاطفي غلّ القلق والرّجم وافهم شيئاً لم اكون مفكراً به

اكدي يامالكة الفوءآد انني لا آلو جهداً في سبيل رضاكِ الذي ارى الدنيا هينة بجنبه » وان احبطتِ مسعاي أُقضي نحبي وعلى الدنيا السلام * اسمحي لي بقبلة حارة من وردة فمك اللطيف واذكري مغرماً فعل هواكِ به فلا ينجو من تياره

صديقك المخلص

الوحيد

. . . . . .

لم تجب حنة رجعى رسالته وقطعت كل علاقة بينها وبينه لكونه غيوراً ولان الام سبقت فعرفت انـه قاس وفظ الطباع ومستبد في شوءونه ونزق الخفاق وان حنة سوف لاترتاح معه في مستقبل حياتها » ومنذ ذلك الحين لم يسمع عن الشاب شيئاً

وما يحلو ذكره في هذا المقام ما روي عن الشاب نفسه انه عزم مرة على الاعتراف في الكنيسة قبل الفصح واذ كان يتردد يومياً ابان عطالته المدرسية الى محل شغل حنه عند ابنة خالتها جاء كعادته ذلك النهار ولم يلقها هناك بل لقي ابنة خالتها فشرعا يتحادثان للتسلية الى ان قال لها: ساذهب غداً الى الكنيسة لاعترف

ى: أحق ذلك ؟

— لم لا وانا لا اخل بهذا الفرض الواجب في حينه

— وهل انتَ مزمعٌ بمساهرة خطيبتك حنه الليلة

— نعم وهذا فرضٌ اخر لا اجحف نفسي عن موالاة القيام به الا بعد مغادرتي هذه المدينة

— كيف تباشر هذا الامر وانتَ ناوٍ على الاعتراف الى الله بذنوبك وعلى الفضيلة ؟ الا تظنُّ انك تخطىءُ باجتماعك مع حنة ولو بالفكر ؟ فاشير عليك ياصديقي بعدم ذهابك الليلة الى خطيبتك . بل بصرفك اياها بالصلاة . . دع حنة تصلي لاجلك فذلك خير من اشراكها بالخطية معك ولو بالفكر

— عفواً سيدتي أظنك غير مصيبة فيما قلته . فلا تحذري محظوراً اذا انا زرت خطيبتي هذه الليلة قبل الاعتراف فليس في مجالستي اياها ما يحول دون اتمامي لما عزمت عليه في الغد فمحبتي نقية وهي مثلك طاهرة

بعد ما انقطع كلُّ وصل بين حنة وحبيبها صرفت همها عن الافتكار به لئلا تثير اشجانها وتهيم به ثانيـة · فتكون الضلالة الاخير شرًّا من الاولى · على ان الوجد كثيرًا ما كان يستولي عليها فيفيض عبراتها وهي على سريرها فتفرج همًّا في الصدر ما زال كمينًا · ولسان حالها ينشدُ قول أبي الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدمع يعقبُ راحةً
من الوجد او يشفي نجيَّ البلابل

اما والدتها فلم تفتر عن وعظها وتسليتها حتى زال ما كان اثره راسخًا في ضميرها وغيبت عنه · فمرت الاسابيع وانقضت الشهور وهي مهتمةٌ بشغلها سحابة النهار بعد سماع القداس صباح مساء مع والدتها وشقيقتها وانطفئت نار تلك المحبه تمامًا وخمدت قوتها التي وصفها سليمان الحكيم بقوله : (مياهٌ كثيرة لاتستطيع ان تطفىء المحبة والسيول لاتغمرها)

بعد نحو من نصف عام كان يتردد الى محل ابنة خالة حنة فتىً ايرلندي الاصل رائع الطلعة لايتجاوز من العمر اثنين وعشرين ربيعًا يتيم الابوين اللذين خلفا له اموالاً طائلة ومنازل وحوانيت تؤجر الى العائلات وارباب التجـارة — يتقاضى

اجرها الشهرية و يرزق منها منفقاً اياها في سبيل الرفاه والانبساط ولذلك لا يعمل شيئاً بل يتنقل من منزل الى اخر لصرف وقته

وقد ألف الصهباء فاصبح عبداً رقاً لهذه الملكة مدمنها ليلاً ونهاراً وعرف بانه سكير

ففي خلال تردده الى المحل الذي فيه تشتغل حنة كان يراها ويسرُّ منها كثيرا و ينظر اليها ملياً بنظرات تستلفت انتباهها وعمل على ايجاد وسائل تؤول لحبها له فشرع يقدم لها الهدايا الحسنة والهبات عن قلب وهجت فيه نار الحب و يسألها بلطف قبولها

لكنّ حنة كانت تتهيّب كلما كان يهبها اكراماً له ولرغبتها في عدم تخييبه فازداد تعلقاً بها وصار يداوم زيارتها في بيتها واخذ على نفسه تعليمها اللغة الانكليزية فارتاحت الى ذلك ودرست قليلا فيها وصارت تحادثه بها فاعجب من ذكائها وجودة قريحتها لتناولها لغة غريبة في اوان قصير وقد اندهلت والدتها من سرعة خاطرها

واذ طال مدى حبه لحنة و بلغ حدّا لم يستطع معه كتم امره صرح للام بميله الى البنت وحبه لها وبأنّ نيته التزوج بها وصرح بان املاكه وواردانها ستكون بيد حنة وهي الآمرة والناهية و بيدها الحل والربط

فلم تغتر الام العاقلة وابنتها المدركة بمظاهرات الشاب ووعوده ولو كانت حقيقية بل وجدتا ان نقطة واحدة بسيآتها تسود كل حسنات اعماله وهي السكر الذي يقوض اركان الهناء ودعائم المعيشة الزوجية والداء الحال في عقل صاحبه الذي يسري في دقائقه و ينفث سمومه الافعوانيـة فتلاشيه . ومتى نزح العقل عن المرء خيرٌ له ان يموت

وعلاوة عن مصيبته الشخصية فشريكة حيـاة السكير تقضي نحبها حسرة وكمداً من مقاساة تباريح الهموم التي تثقل كاهلهـا ولا يمكنها عندئذٍ ازالة حكم هاتيك الملكة الظالمة عن راس زوجها الذي استسلم لها من كل قلبه واعترف بقوتها النافذة وخضع الى سطوتها الباطشة . ومن شب على امر شاب عليه

وهكذا تكون هذه العيشة مرة مهما توفرت حلاوتها فدسمها ممزوجٌ بسمٍ زعاف . سم الهم و المنازعة والخصام لان (لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام)

فالامُ افهمت الشاب رمزاً ومغزىً عدم رضاها عنه وقبولها به رجلاً لابنتها . فلم يفهم او لم يرد الفهم فاوضحت له بقولها:

عزيزي اشكرُ لك صداقتك ومحبتك لابنتي . فان كنت مؤملاً اتخاذها زوجة لك فانا لا يسعني الان تحقيق آمالك واجابتك الى ما طلبت و يسوءني ان ابين لك ذلك . وتعلم انك

بوفرة ترددك الى بيتنا تدعُ الملا يتحدثون بنا * فذلك لا يليق بكل منا وكلانا عريق في أُسرته ونضنُ بشرفنا ان يمتهن فليجتزىء كلٌ بما مضى من الفرصة وليعتقد بان لا نصيب له من الآخر

فاستلطف الشاب كلام الام وشكر حسن مبادئها لكنه تاثر كثيراً من احباط مسعاه وعوده من هذه المهمة بخفي حنين فوعدها بالاحجام عن زيارة حنة واراها انه شهمٌ شريف بعيد الشأو ادراكاً . وعمل بقوله ولم يعد يتردد حتى الى مركز شغل البنت

فارتاحت حنة من هذا الهم ايضاً وثابرت على عملها خلية الشجو ردحاً

٥

بعد ان تربعت حنة في دست الراحة وقتاً لا يقصر عما نالته قبل معرفتها الشاب الايرلندي قدم مدينتها شاب آخر كنديانى يدعى شارل وهو قوي البنية شرس الاخلاق فظ الطباع . يعاقر بنت الحان و يواخي كل معوج السبل

من عاشر الاشراف عاش مشرفاً

من عاشر الانذال غير مشرف

و ينطبق على ذلك مثل الحكيم : (فاعل الشر يصغي الى شفة الاثم والكاذب يأذن للسان فاسدٍ

فشابنا شارل لايعرف حنة قبل مجيئه الى مدينتها لكنه صادفها يوماً على قارعة الطريق وهي عائدة الى منزلها فاختلبت لبه وكادت تذيب فواءده التياعاً . فلم يستطع صبراً بل طفق للحال يسائل عنها حتى عرف كل ما يهمه معرفته عنها

وقد سعى بوسائل متعددة لزيارة حنة بصحبة اصدقاءٍ له ولاّلها ولو لاوّل مرةٍ . فتسنى له ما تمنى فعرّف اصحابه الام والابنة به . فسرتا منهم وشكرتاهم

اما هو فتهلل فواده وابدى كلما قدر ان يتلبس به من مظاهر اللطف واللباقة تلك الليلة ليموّه على السيدتين امره لعلهما تخالان انه من منزلتهما في المدنية والاداب

انقضت الليلة الاولى ولم يجنح سواد الاخرى الا وشارل يقرع باب منزل حنة . فاقتبلته هي وامها بترحاب . فاتخذ مقعداً وللحال اطلق للسانه العنان وشرع يحدثهم باحاديث ونوادر في مواضيع مختلفة . ففهمت الام انه وقح اذ ظهر لها خلاف ما كانت انست منه من الاحتشام في الليلة البارحة

ولم تمض بضع ليال حتى ارتفع الستر عن مرسح داخل شارل فعرفته الام حق المعرفة من جهتي اخلاقه ومآتيه . فقالت لابنتها

اتذكرين يا ابنتي كيف يتقلب في حالات طباعه كل يوم فانه مطبوع على شرِّ الصفات التي لم يتمالك عن اخفائها

ظلمتَ امرءًا كلفته غير خلقه

وما كانت الاخلاق الا غرائزا

وافضل الان منعه عن زياراتنا لانه لايستحق ان يكون من اصدقائنا او معارفنا

واذ فهم شارل بالتلميح ما هي نية الام نحوه اعرب لها عن ضميره موضحاً انه يحب حنة حباً يفوق حد الوصف وانه يريد الاقتران بها اذ قد جذب اليها رغماً عن كل الموانع التي تحول دون تلك الامنية واهمها تعلقه بسواها وان كثيرات هنَّ اللواتي همنَ به وهو لايعتدُّ بهنَّ ولا يوليهن التفاتاً . وانه الان عثر على ضالته المنشودة وهي حنة التي :

محا حبها حب الأُلىَ كنَّ قلبها

فحلت مكاناً لم يكن حلَّ من قبلِ

وذكر لها انه يمتهن التجارة في بلدة تبعد عن (ثلاثة الانهر) نحواً من اربع ساعات وانه يداوم العمل فيها و يبرحها مساء كل سبت الى (ثلاثة الانهر) ليصرف سحابة الاحد في بيت حنة ومن ثم يؤوب الى حيث اتى . وان الامر يدوم على تلك الحال الى

ان تتحقق امنيته و يسعده الحظ بالحظوى بجنة شريكة لحياته

اجابته الام بلطف :

— اشكر لك حسن ظنك بابنتي واثني على كرم اخلاقك ٠ وقد تيقنت معظم حبك لها فاقدره حق قدره ٠ اما قولك باتخاذ ابنتي زوجةً لك فلا ادري ماذا اجيبك عنه لانها ليست اهلاً للزواج اذ لاتزال حديثة السن فكثيرون هم الذين طلبوها ولم يأخذوا مني وعداً ٠ لان حنة نفسها تابى الزواج في الاونة الحاضرة وانا اوافقها في رأيها الان الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

اما انت اذ قد تعلقت ببعض البنات وكما فهمت منك انهن جميلات ولا يملنَ الى سواك فكن اصيل الرايء واعمل بمشورتي وعدْ الى واحدة تثق بامانتها في صداقتها لك ولا تحجم عن التزوج بها فذلك خيرٌ لك من انتظار غير محدود

واما نحن فنعتبرك صديقاً كريماً وتلاقيمنا اكراماً ايانَ زرتنا ولكننا نثق بانك لاتزورنا لهذه الغاية اذ لا خير يرجى منها لما انف ذكره ٠ وندعو لك بالتوفيق والنجاح وبمستقبل حميد وحياة سعيدة

فتاثر من قولها وامتلا غيظاً اذ لم ترِ زناد امله بحنةِ فاجابها بلهجة خالها خفيفة : انني احب حنة حباً عميقاً لن يعفو اثره من داخلي حتى الموت ٠ وقد وهبتها فوادي وعلقت عليها كبير امالي وتوقعت منها تحقيق امنيتي لا تجريعي كاس منيتي

فاكدي ياسيدتي ان ابنتك حنة ستكون معي سعيدة جدا في كل الاحوال . ومهما كان الامر فلا انكب عن هذا المسلك الذي نهجته (وتعرفين اي الطريق اعني) فمهدي لي الشعب ما امكن ولا تجعلي امامي العقبات الكوءد والسدود المحكمة لئلا اضطر الى الجهاد في الثبات على هذا الامر الذي ليس لي عنه حدٌ . ولئن كانت سيدتي حنة حديثة السن فبسرور وطيبة خاطر انتظر موعد حلول ارادتك بالقبول بتزويجها

فاقناعكِ اياي بحججك لانثني عزمي ولا تجدي فتيلا على اني وان كنت لقيت امر هذه العلاقة سهماً حابياً فلا احيدنّ عنه ولو قلعت قلع الصمغة وهذا فصل الخطاب

فذعرت الام من قحة شابٍ لم تعرفه قبلا وخافت جانبه اذ لقيت منه همجية غير منتظرة وقالت بنفسها : اذا صارت حنة زوجةً لهذا الشاب الذي لا ادري ايّ ولد الرجل هو لنالها العذاب الجد لاول خطوة في مرقاة حياتها الزوجية وعثر جدها في الاخرى شهيدة العفاف والتأمي

ثم التفتت الى الشاب وقالت له :

متى جئت مدينتنا مذ الان لزيارتنا فتحل على الرحب والسعة ولكني اشيرُ عليك بان تصرف همك الى شغلك وتنقطع الى العمل على صالحك في مستقبل ايامك . وان تحافظ على الامور الصحيحة فانها قاعدة الجسم . ويجب ياولدي الا تفتكر بابنتي

لحبيبة او خطيبة بل كاحدى معارفك . اذ قد لا يتم امر تزوجك بها . وكم من مرة فهمت منها انها لن تتزوج وتتسربل بمطارف لذات هذه الدنيا وغرورها بل ان عزمها المتواطد معقود على العفة وحفظ البتولية والقطون في دير الجزيرة المقابلة (لثلاثة الأنهر)

فلا تبنِ صروحاً من الآمال وهمية فتعصف عليها ارياح القنوط فتقوض اركانها . بل كن حكيماً بعيد المرمى في التعقل واتكل على الرب فهو يعينك ويعطيك الحكمة

اجابها شارل ولسانه يتلعثم تاثيراً وخجلا من فشل صادفه:

قد غدوتُ مدنونَ لطفكِ ايتها الام الصالحة فان كلامك لروح الحكمة هو . وها انا سأباشر العمل به وبكلما اشرت وتشيرين عليّ ... واستاذنك الان للانصراف لانني على جناح السفر الى بلدتي لعود شغلي فيها . فاسألك ان تدعي لي:

فقالت له : نوالكَ الله واخذ بيدك اينما حللت

وهكذا ودع شارل هذه العائلة وعيناه تقدح شرار الضغينة وغادر المدينة وهم غير مصدقين ان ظلام ثرثرته قد انقشع عنهم ولقد كرهته حنة كرهاً شابه خوفٌ حتى صارت ترتعش من ذكر اسمه

اما شارل فقد صرف الاسبوع الاول في شغله وافكاره على اجنحة الرياح وكان يعد دقائق نهاراته الى غاية السبة

وما امسى السبت حتى هرول الى غرفته فابدل ثيابه وامتطى القطار الى (ثلاثة الانهر) ومن محطتها توًّا الى منزل حنة التي اذ شعرت بقدومه اختفت من البيت وصرفت ليلتها عندخالتها

دخل شارل البيت وحيا آله وجلس وانتظر حنة واذ سأل عنها علم انها زائرة خالتها . فايقن انها ستعود حالاً وكلما شعر بوقع اقدام خال ان حنة مقبلة وهكذا كان مقيماً على احرّ من جمر الغضا متجه الافكار نحو حنة وكان اثناء مجالسته الام مرةً يبكل بحديثه وعركة يغمغم كالارعن

واذ حان موعد انصرافه للرقاد ولم تأتِ حنة ابدى استغرابه من خللها في واجبها نحوه

فقالت له الام : قد ذهبت حنة لتزور خالتها اجابة لدعوة اختها اياها وذلك من ظهيرة اليوم وقد تصرف كل الغد عندها

فاشمأزّ شارل عند سماعه ذلك وقال : يالسوء طالعي جئت هذه المدينة لاتملى برؤية سيدتي حنة وهي اذ علمت بقدومي نفرت كالغزال اذا ولّى مدبرًا من الصياد . فما ذا بدى مني مما يسووءها او يروعها . او لم انبئها بزيارتي اياها اليوم ؟

اجابته الام : ياولدي قد قلت لك قبلاً : لا تفكر في هذا الامر ابداً ولا تعتقد ان حنة ستكون لك . وليست باسيرة احد طالما هي في بيتها . واذا افترضنا قبولها بالزواج في مستقبل الايام فلن نختار سوى الرجل المحاكية اخلاقه اخلاقها

فقال شارل . اذاً يجب ان افهم ان حضوري وعدمه سيان عندها . وسيأتي يوم فيه تعرف انني انا شارل وان اي بنت كانت تتمنى حبي اباها . وانني لست ممن لا يحفلُ بهم . وعليَّ ان اذهب الان مودعاً اياكِ وآسف كل الاسف لحرماني من مشاهدة سيدتي حنة التي قد تراني ايضاً -- اذا اسعدني الحظ — وقد ترتاح من المتاعب بعدم رؤيتها خلاً جديداً فيما بعد

اما الام فلاطفته قليلاً وقالت له . خلال زياراتك هذه المدينة فيما بعد تأتي فترانا فتحل ضيفاً كريماً . فان كانت حنة ظاهر البيت فلا لوم عليَّ ولا عتب عليها

فودعها شارل وانصرف وقد خاذلته رجلاه تأثيراً وعول على عدم العودة الى ذلك البيت . فقطع رجل تردده الى منزل حنة واضمر كل مكرٍ لها ولكل من يمالئها على مناهضته . وعزم على التنكيل بكل شاب ياتي بيتها ليخلو له الجو ويكون هو الحامي الوحيد لذلك الحي الحريد .

٦

انتهى الى الام نبأ كل ما اضمره شارل فصارت تطلب الى الله تغيير افكاره كيلا تضطر الى معاملته بالقسوة . فنبهته بكتاب ليرعوي عن غيه والا فهو الجاني على نفسه . فلم يحجم عن غروره بل توغل في اجمة الحمق والبروق وصار يرشقها من كنانة غضبه سهاماً حادة

فكان عمل الام كصرخة في وادٍ · او نفخة في رماد

دام الحال بالفريقين هكذا الى ان جعل يزور ذلك البيت شاب يمتهن القصابة زيارات متوالية بسيطة لان امه ووالدة حنة صديقتان مخلصتان · فلما بلغ مسامع شارل امر تردد هذا الفتى حتى جعل يكمن له في مختبآت مظلمة على الطريق ليفتك به

فترصده ليلة فيها جاء ليسامر تلك العائلة وكمن له كعادته في زاوية تقابل البيت ليقضي عليه · ولكن الام العاقلة كانت لا تدع الشاب يبارح بيتها ما لم تتجسس حواليه لعل الغريم كامن · فخرجت ليلتئذٍ وجالت بنظرها متحققة واذا بزائلة لابدة في الناحية المقابلة فتبادر الى عقلها ان ذلك الكمين هو شارل بنفسه ولم تغير ظنها · فدخلت واستوقفت زائرها عن الانصراف منبهة اياه بالخطر الذي سيحدق به

ثم استكشفت الحال ثانية واذا بها كما كانت · واذ لم يعد يسعها الاحتفاظ بالفتى الى ما بعد الساعة العاشرة ونصف ليلاً · دخلت غرفتها واصلحت ثيابها ولبست قبعتها وتقدمت منه قائلة : انا ارفقك الى بيتك خشية من ذلك الغدار الذي لا ريب بانه بعيد عن جادة النهى · ومتى رآني معك يحجم عن عمل يجول في خاطره المجيء به اذ يخجل مني فلا يستطيع الهجوم على النساء

فاذعن الى مشورتها وخرج واياها · ولدن ظهورها من الباب رَمَل الكمين واختفى لادراكه ان لامطمع له ساعتئذٍ من تحقيق

امله السيء ٠ وعادت الام بعد ابلاغ الشاب الى منزله

ومن ذلك الحين خمدت نار شارل وانطفئت نورها ٠ وانقشع ظلام شقاوته عن مدينة (ثلاثة الانهر) وهكذا طابت القلوب وارتاحت الخواطر من هذا القبيل

اما الشاب الذي قصد شارل الايقاع به اذ لم يشم وميض امل من البنت بالميل اليه ومن الام بارادتها اياه ٠ نأى عن المنزل واكتفى بالصد عن جواب النفي

اما حنة فمع تعدد رؤيتها لزائرين كطلاب لها لم يزل سربال ادبها وعفافها نقياً وخطتها مرعية الحقوق بفضل ادبها المنير ورصد عين امها اليقظى التي بذلت حياتها وخيرها في سبيل تنوير اولادها بروح التقوى والادب والعلم والانسانية والتي آلت على نفسها عدم التزوج برجل اخر بعد وفاة زوجها لتكون مطلقة الحرية ومنصرفة الى تهذيب وتثقيف عقول ضنوها الذين تحبهم بشغف وحنان ابها تشرف بكرها حنة على باقي اخوتها الذين هم اية في اللطف والايناس والادب

فكم تشكر تلك الام الرؤوم على حسن اعتنائها بذلك الغرس الذي سيصير فيما بعد ادواحاً باسقة تخلد ذكرها الى الابد ٠ التي لم تسمح لابنتها وخطيبها الآنف الذكر بالاختلاء شان الحبيبين او الخطيبين في بلاد الحرية ولم تغض الطرف عن مراقبة حركات كل منهما اثناء زيارة خطيبها ٠ وفي الوقت نفسه لا محاولة من

الاقرار بفضل الابنة من حيث السجايا الحميدة

ولا غروَ ان تعلقت ذاك الشاب طالب العلم فانه شريف ولطيف وقد اطال مدة زياراته لها فصار على وشك انهاء علومه المدرسية وشافه موعد الزواج . وحبهما اشبه حب بني عذرة السالفين :

والعشق من شيمِ النفوس فان تجد
ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يعشق

ولكنها ارته نفساً عزيزة وروحاً نشيطاً وادباً غزيراً مع كمال ما جعله يحبها حباً ارقى من العبادة وقد عهد بها الكفاءة في كل الامور والشروط الكافلة له الرضى بها والميل اليها والافتكار دوماً بها والاعتماد في المستقبل عليها والاخلاص في حبه اياها هذا فضلا عن انها من محتدٍ كريم . ويحلو بي ايراد بعض ما جاد به احد الادباء :

والحسن لا يكفي الفتاة ولو غدت
تزري محاسنها بشمسِ نهارِ
والاصلُ للانسانِ جدٌ منه لا
جدٌّ علا في سالفِ الازمانِ

٨

اجاذب الحديث الان واعود الى حيث بدأت وانتقل بالقاريء الكريم الى منزل توفيق الذي فيه تم تنصير الطفل ميخائيل وقد ذكرت ان القوم تملأوا من الطعام (العشاء)

واذ قد اشغل كل معقداً في ردهة المنزل التي تصدرها الكاهن وطفق يحدث الحضور بمواضيع مختلفة دينية ومدنية انتهز ميخائيل الفرصة واخذ كرسياً متنحياً عن الجمهور وملاصقاً للصديقة الافرنسية الجديدة حنة التي تعرفت به حديثاً فاعتصم واياها باهداب طيالس الاحاديث اللطيفة المتنوعة وحبا كل منهما الاخر برقعة مرسوم عليها اسمه بالماء الذهبي وتوغلا في حدائق الاقاصيص الادبية وقد ارتاح كلٌّ منهما الى الثاني وابدى سروراً امائره رُسمت على الوجهين وظهرت بالبشاشة والابتسام

فتطرّق ميخائيل في حديثه الى بعض اسئلة اهمها :

اي الاشغال تمتهنين ايتها الانسة ؟

صنع القبات النسائية

وعند من ؟

عند ابنة خالتي

عساكِ تتقاضين اجرة مرضية ؟

نعم واني مسرورة في مركزي هذا وسوف افتتح محلاً لنفسي

اتعاطى فيه عين الصناعة . فاسمح لي ياسيدي بسؤالك عن مهنتك التي منحرف اليها

بسرور ياسيدتي . ان حرفتي الان هي الكتابة في احد المحال التجارية السورية

— اتمنى لك توفيقاً ونجاحاً

— اشكر الك لطفك وتمنيك

— وهل لك آنٌ طويل في هذه الديار ؟

— نحوٌ من سنتين

— انكَ تحسن اللغـة الافرنسية فهل تناولتها قبل مجيئك كندا ؟

— نعم وقد زدتُ بها معرفة من معاشرة آلها الكرام وازداد قوّةً بمعرفتي الساعة ضعفت الاول ولو ان دقائق اجتماعنـا لم يتوفر عددها

— اشكر كرم اخلاقك فانك ارويتني ايناساً

— لا اقدران اعبّر عن سروري الان ايتها الانسة برويتك لانك الطف سيدة طرف رايتُ وجالست مذ قدمت هذه البلاد

— ان ما نسبته اليّ من حسن الصفات لمنعكسةٌ انواره عن مرآةِ اخلاقكَ النقية

— انني مديونٌ لفليوني ميخائيل الذي كان علة تعرفي بشخصك اللطيف . واعدُّ نفسي الان صديقاً مخلصاً لكِ مع

اعتقادي كونك كذلك . فمن باب الصداقة وبما لقيته من لين جانبك اتجرأ على سؤالك ولو عدّ ذلك من ضرب التطاول على مائدة ادبك . الا انني اراني في حلٍ له من شريعة بلاد الحرية

— وما هو يا سيدي ؟ لك ملء الحرية ان تسألني عمّا عنّ لك !

— اذ قد خولتيني حرية السؤال فاجسر عليه — فهل انتِ مخطوبة لاحدٍ ياسيدتي ؟

— لا

— او ليس لك علاقة مع احد الشبان الادباء الآن على امل البلوغ الى النقطة المشار اليها ؟

— كلاّ

— انني اندهل من ذلك لعهدي بكِ الجمال والادب والذكاء ما يدفع ايّ رفيع او وضيع من الشبان الى التقرب منك والاقدام على طلبك خير زوجة ولكن متى عرف السبب رفع العجب فهل لم يقبل عليكِ احدٌ ام لم تقبليه ؟

— رفضتُ الكثيرين ولم يكن لاحد نصيبٌ مني ؟

يبدرُ الى عقلي انك لم تميلي الى احدٍ منهم لعدم استيفائهم الشروط الكافية رضاكِ عنهم فلو وجدَ فرضاً من به الكفاءة من كل الوجوه أفترفضينه ؟

ـ ولمَ آبي ذلك

ـ انما يشترط على هذا المجب الا يكون غريباً ؟

ـ لا اعني ولن اقصد بقولي ذلك ابداً اذ قد يكون الغريب افضل من القريب كثيرًا ! ـ قالت هذا وقد زهت وجنتاها الورديتان حياءً — وقد اجابت ذلك كيلا تمس عواطف سائلها

— ما اعذب جواباً اعطى بتورد وجهكِ الزاهي . منه آمل اتمامَ منىً في النفس

(جعلَ تمنيه مجهولاً ولا ريب بفهمها اياه — فاجابت بابتسامة لطيفة ولم تحرِ الجواب لفظاً (ثم استأنفت القول :

عساكَ تطيل المكث بين ظهرانينا فنتمـلى برؤيتك الانيسة

كنتُ اتمنى من صميم الفواد عدم حرماني من هذا الشرف

لكنّ مهام الشغل تقضي عليَّ بالاياب العاجل الى منتريال

— يسوؤني جداً ان اعلم بان زيارتك لنـا قصيرة جداً ولكني اطلب اليك ان تسعى لعلك تنال فرصة بضعة ايام فتصرفها عندنا

ـ لا حيلة في ذلك اذ وعدت بعودٍ سريع الى منتريال ويجب ان اقوم بالوفاء وتعلمين ان الحر اذا وعد وفى

ـ اذن متى يتم سفرك من هنا ؟

ـ غداً الساعة الرابعة بعد الظهر

— ارغب اليك ان تزورني في بيتي ظهيرة غد التي اغتنم فرصتها فاراك قبل مغادرتك ايانا

فوعدها ميخائيل بالايجاب · واذ حان موعد الافتراق اقتبل كل من الحبيبين طفلي العهد وديعة خفية حلت اسمى النقط القلبية واشارت خنة الى ميخائيل بعدم اهمال زيارتها

فانصرفت مع والدتها وشقيقتها وهي مع صديقها رهينا البلبال وقلباهما اسيرا الاضطراب وآمالهما معقودان على خير يرجى في المستقبل ونفساهما معللتان بملتقى آخر قريب لعل عرى الحب تحكم الوثوق فيصير اليقين حليف الجانبين

بزغت غزالة ضحى الغد فاحيت سرًّا كان راقدًا في القلوب وتيمن كل من الخلين بصفاء جوّ ذلك النهار الدال على صفائها · وكانا يسوعان بالافكار ويتحينان الموعد المنتظر حتى اذا ما حلّ الاجل المضروب جاء الشاب لزيارة البنت التي كانت تتوقع قدومه بالدقيقه فاقتبلته وامها واختها بكل ترحاب وكانت امائر السرور بادية على وجوههم

فتبودل لطيف الكلام بين الجميع وكان كل مرتاحًا الى الآخر وكانت المحبة الانسانية عندهم قوضًا بقوض

فسألت الام ميخائيل قائلة :

الا تزال عاقدًا النية على السفر الى منتريال اليوم ؟

— ما لي حمٌّ عن ذلك قيامًا بواجب الشغل

ـ حسن جداً ولكنك لا تتمكن ايان شئت من المجيء الى مدينتنا . واذ قد اتيت الان فلا ندعك تبارحنا حتى غاية هذا الاسبوع . ولا غرو ان صرفته عندنا . ولا اشك بعدم استياء احد من تغيبك بضعة ايام واخلالك في فروض شغلك

ـ انه لسهل جداً القيام بالمتأخر من شغلي ولو تغيبت عنه شهراً كاملاً ولكنني ابغي دائماً حفظ كلامي في دائرة العمل لابقى محرزاً ثقة الغير بي وتصديقه اياي

ـ ان عدم القيام بوعدك هذه المرّة ليس بامر ذي بال . فلا تهتم بذلك بل اشعر قومك في منتريال فيصرفوا النظر عن هذه الزلة . واعلم بان قوماً يلعبون الالعاب المتنوعة قد جاؤوا مدينتنا البارح وسيمثلون الالعاب المتباينة المبهجة فيها التي يتخللها سباق الخيل . حيث يوءلف ذلك مشهداً جميلاً حافلاً توءمه الاقوام من كل فج وناحية حتى من مدينتك منتريال ايضاً ـ فكيف انت تذهب وغيرك ياتي فلا نحرمك هذه (الشاردة)

فاثنى ميخائيل على كرم اخلاقها وقد سر كثيراً مما ناله من لدنها من الاعتبار والتجلة والترحاب المعرب بجديد لسانها اللطيف الذي عرف بانه آلة لكل قول حسن يصفه سليمان الحكيم بقوله : الكلام الحسن شهد عسل حلوٌ للنفس وشفاءٌ للعظام . . .
وقال لها :

طالما الامر كذلك التمس من حبك السماح لحضرة الآنسة

حنة ان تصحبني الى مشهد الالعاب فنصرف وقتاً هنالك ونعود الى دائرة نظرك الكريم

ـ بسرور وافر واتمنى لكما الانبساط فوق ذلك

ـ اشكر لكِ حنانكِ ولطفكِ . واتجرأ على سوآلك ايضاً . اتتفضلين برفقنا مع ابنتكِ الآنسة لوسيا فيسعدني الحظ بالتشرف بكوني معكم ؟

فابت الام قبول دعوته بل وعدته بتخلية سبيل حنه للذهاب معه . و بعد ان انتضد في منزلهم برهة انصرف وخلفهم على امل مشاهدتهم ثاني الايام

٨

كان في تلك المدينة فتى سوري الموطن حديث السن يدعى س . اما لسانه فهرم في اختبار بذيء الكلام وهو غر واحمق قد جاء اميركا و بعكس الامر المرتغب والمتبع لم يتعاطى شغلاً ولم ينتج فلساً ولم يجهد نفساً . بل يُرى ضخم الجثة كبير الراس رب كل دعوة باطلة ينطبق عليه قول الشاعر :

اذا صوت العصفور طار فوءاده

وليثٌ حديد الناب عند الثرائدِ

اما عمل س · فهو التنقل الى هنا وهناك متفيأً بمضرب البطالة والكسل صارفاً اوقاته باللهو ومعتمداً على جيب امه الذي لا يكاد يأنس بنتاج اتعابها الشاقة حتى تدنو الوحشة منه محيية اياه باسم س· المستعد لابتزاز المستودع فيه · فيملا بطنه المستجيع ونفسه تطمع بالمعيشة على تلك الحال الخاملة غير معتدٍ بما قيل :

انما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على احد

فآسفُ على زهرة شبابه التي يزينها حسن الصورة والصحة اذ قد افقد منفعتها المقرونة بقوته باهماله استخدامها في الهيئة الاجتماعية و بانصرافه الى ما من شأنه الحط من كرامته بسوء طباعه الفظة

فنظراً لما بين تلك العائلة الافرنسية و بعض افاضل السور يين هنالك من المودة جعل منزلها محط رحال تردده اليومي الممل حتى سئمت روءيته وصارت تطلب التملص من نير وقر ضيافته الثقيل :

غب وزر غباً تزد حباً فمن

اكثر الترداد اقصاه الملل

وكان فضلاً عن ثقالته يقتفي اثر الابنتين في البيت ليلاعبهما

او يمازحهما او يحادثهما ففرغت جعبة صبرها وحلمها وهمتا بطرده ولكن الام خبأ باقربائه لم تشأ سوى تأنيبه لعله يحجم عن التهور في محجة الضلال او يخجل علماً منها بانه يفهم قوة كلامها ويعمل به :

ومن الجهالة عذلُ من لا يرعوي
عن غيه ونصيحه من لا يفهم

واستمر س . يواصل تردده الى بيت حنة حتى ذلك اليوم الذي فيه دعاها ميخائيل الى المشهد الانف الذكر . فجاء كعادته عند غروب شمس نفس ذلك النهار وسأل الام الاذن لحنة كي ترفقه لمشاهدة سباق الخيول في الغد

فأجابته الام بتعقل : الا تخجل من طلب كهذا وباي قحة تسألني السماح لحنة برافقتك . او تحسب ذاتك من قوم الشرفاء او تخالك من الشبان الادباء الذين اساجل بهم . الا تدري بانني ارمقك بنظر التساهل واصرفه عن كل هفوة تجترمها لدي واجيب بقبول كل سوال تقترحه من اجلال ذويك الاكارم

فلا تطمعن بشيء ابداً وقف عن الاسترسال في غوايتك وطمعك بسواك

فلم يجد باباً للجواب بل لاذ بالهرب فاسرع الى الباب الخارجي ينفض غبار الخيبة

وفي الغد حسب الوعد كانت العربة امام البيت بانتظار الصديقين اللذين قلتهما للحال الى مشهد الالعاب فذهبا وآبا ولم يشعرا الا ووقتهما برق وقد مضى . واذ قد رآهما س . ثار جاشه وقال بنفسه . الست سورياً كميخائيل فكيف تفضل حنة الواحد على الاخر ؟ فما العلة يا ترى مع استطاعتي فهم لغتها وافهامها بها . يبدو لي انها اعتبرت ميخائيل متفوقاً علي لكونه من مدينة اكبر من هذه او غريباً . فلا بأس . انني ساشي به واسعى لاطفاء جذوة تلك المحبة التي ستتاصل وتثبت الم اتلاف الامر واستاصل كل جرثومة علقت في داخل فوءاد البنت

اقتبلت الام فتيها بترحاب ورزن ميخائيل في منزلها الى المساء فاغفل موعد سفر القطار واذ فاته توقع السفر في الغد وفي الاجل المعين للقطار اهمل ايضاً ذلك وهكذا صرف خمسة عشر يوماً وهو بحالة الاسواع بين مجالسة الحبيب ومراقبة الوقت للرحيل .

٩

في خلال تلك الزيارة تمكنت المحبة بين ميخائيل وحنة فانقطع الى محبتها واصبح لسان حاله منشداً :

وحلت سواد القلب لا انا باغياً

سواها ولا في حبها متراخيا

وكان يصرف كل النهار واياها اذ انقطعا عن شغليهما الى حبهما الذي اعتنيا به بهمة ونشاط حتى نما وتمكن منهما

وكان يصطحب حنة كل مساء و يتجول واياها في الاحياء والشوارع مع رفيقة ثانية وهي لوسيا اختها

فاستغربت ذلك خالة الابنتين واعربت عن تعجبها لميخائيل قائلة :

انني اراك قد اجترحت عجيبة بنيلك رخصة من شقيقتي لاصطحاب حنة ولوسيا في التنقل بين احياء المدينة مع انهما لم ترفقا احداً بعد غيرك . وبجرأة اقول : ان اختي لو لم تحبك كثيراً وتعتبر ادبك اكثر لما سمحت لك بذلك ولما خولتكم انتم الثلاثة الحرية فيما تشاؤون . فاني سعيدة بمعرفتي اياك وقلبي يتهلل فرحاً الان لمشاهدتي اياك وحنة متوافقي الذوق والادب

فشكرها ميخائيل وقال لها : انني اعد حنة ولوسيا كشقيقتين لي وانتِ واختكِ كوالدتين ولهذا فاحسب نفسي كواحد منكم مستعداً لمشاطرتكم في السراء والضراء

اجابته الخالة : ليت شعري هل تتحقق الامنية بل امنيتي ؟ فانك شاب شهم جميل سليم الذوق تفاخر بك بنات الجنس اللطيف وكذلك حنة فانها سيدة شريفة عفيفة همها دينها وهمها ادبها ودابها الجد والفضيلة . فاحرِ بكما من شفع وردٍ تفتحت اكمامه وتضوعت انفاسه . واخلق به ان يكلل بتاج الاجتماع الدائم المرصع

محيطه بحجارة المحبة الكريمة و يواقيت الالفة والسلام الثمينة ٠ ٠ ٠
(واردفت حديثها بضحك حمل الكل على العمل مثلها)

فقال ميخائيل : ان كل حرف من كلماتك اللطيفة منبعث عن روح محبة واخلاص وشهامة ٠ فنعم القول وحبذا التمني ٠ فلنا كل الامل وعلى المولى اتمام العمل ٠ ولنعتصم بحبل الاتكال عليه تعالى ولننظر الى ما يأتينا به المستقبل وكل آتٍ قريب

كل امرٍ مباعد او مدانٍ فمنوط بحكمة المتعال

فعقب ذلك سكون عام ومبادلة النظر ومكاشرة العينين من الحبيبين وابتسام لطيف ٠ واضطراب داخلي خفيف ٠ وشفاه ترتجف خفية هامة للسان باطلاق السراح ٠ والسنة تحددت هوًى واملاً فتلعثمت عن الافصاح ٠ ولم تلفِ كلمة تبدو اليها لاستئناف الحديث وتعكير صفاء الهدوءِ السائد

واذ رامت الخالة ممازحة ميخائيل قالت له : انني قد احببتك قلبيًا كابنتي وحبيبتي حنة وقد سررت كثيرًا من لفظك بالانكليزية عند سماعي اياك متكلماً بها ٠ افتعلم حنة اياها ؟

-- كم اود ذلك لو سمح لي الوقت بفرص اعد الخدمة فيها شرفًا وفخرًا ٠ ولو قدرت لما اجتزأت بتعليمها الانكليزية بل ولغتي العربية ايضًا لانها لغة شريفة وقديمة وواسعة فتصير سيدتي حنة من عداد الناطقين بالضاد

فبدهته حنة مقترحة : اتريني كيف يكتب اسمي بالعربي ؟

ميخائيل : اسمكِ واسمي وهذا اول ذكرٍ يحفظ لديكِ مني

فكتب اسميهما وعلمها رسمهما . واذ فعلت ذلك اجمع القوم على ذكائها الفائق وللحال جعلت ترسم الاسمين غيباً اذ صورا في مخيلتها

فانصرفت الخالت وسألت ميخائيل زيارتها في الغد فاجابها بالقبول

١٠

ففي سحابة النهار كان يقيم ميخائيل مع الام في حديقتها امام منزلها متفيئين في ظلال الازاهر والورود ومتحدثين بمواضيع مختلفة الى ان لمح مخائيل الى محبته حنة وكيف صار واياها خلين ودودين وفيين في برهة وجيزة

وكان يبين لها من خلال حديثه ميله الحبي الثابت والمتواطد الى حنة التي حاكته بنفس الميل وانهما لما يخرجان معاً للتنزه كانا يعترفان بارتياح الواحد الى معاشرة الآخر وان بوده مفاتحتها (الام) بطلب حنة كخطيبة حتى يحون آن فيه تصير زوجة له

فقالت الام : ياحبيبي اقول لك بجرأة حبية انني قد سررت منك لاول وهلة رايتك وقد جالستك وحادثتك واختبرت بعض طوارك التي منها فهمت انك كريم الخلق . ولذلك فاعتبرك

اعتباراً حقيقياً واكرمك اكثر من كل مَن تقدمك من الخطاب لان الكرامة لا تليق الا بذويها . وفي الوقت نفسه اضيف الى قولي انني مهما عرفت من حقائق طباعك لا ازال جاهلة معظمها وتعلم بان امراً كهذا اهمّ من كل مهم . لان تلك المعاشرة والحياة الزوجية هما مدى عمر احد الزوجين

فكم من الواجب عليّ قبل منابهة هذا الامر ان اعلل واسائل واستعلم عن صفات من يطلب ابنتي بعد ان اتحقق حبها لطالبها حيث تتبادل المحبة بينهما واطمئن انا ايضاً من حيث التوافق في خلالها

الا تعلم ان اهم الاسباب العائدة الى حسن التوافق هي ان يكون الفردان مثيلين في السن والاخلاق والسجايا كالكرم والتساهل واخلاص المحبة وعدم الغيرة والجمال

كما ان امر الوطنية ايضاً سرٌ عظيم . فانت وابنتي لستما من بلد او وطن واحد او ابني لغة واحدة . وذلك يقتضي التمعن ملياً في الامر بقطع النظر عن حبكما

انني يا ولدي قد رفضت طلب الكثيرين ممن تقدمك من الخطاب لانني لم ارَ بهم الاهلية الى مركز كهذا من حيث الخلل في الصفات الآنف ذكرها . واريك الان بعض محررات مرسلة الى حنة من محبيها لاني اقرأ كل رسالة كانت تردها من الاصدقاء ورجعى كل رسالة كانت تبعث بها لانها لا تأتي سوى كل عمل

ينطبق على خطتي منذ نعومة اظفارها

في تلك الرسائل تفهم كم كانوا يعظمون حبهم لتجله هي وكم كانوا يتفانون في اساليب الكلام لها كي يستميلوها اليهم وتعطف عليهم لتقابلهم ولو بجزء من محبتهم . ولكنها لم تهتم باقوالهم وانا كنت اشير عليها بعدم الاعتداد بهم وعدم الجواب بتاتاً و بجواب وجيز احياناً عند الاقتضاء

فانت سوري وغريب عن جنسيتنا ·انت شرقي وحنة غربية · انت عثماني وهي انكليزية · لغتك عربية ولغتها فرنساوية · انت ارثودكسي وهي كاثوليكية · فتباين الامر جوهرياً من حيث المذهب والمشرب · ولا ادري كيف ينبغي ان اوفقه

اجابها ميخائيل :

ان قولك ايتها الام الصالحة لهو عين الحقيقة ولكني اجيبك عن امر الخلاف الذي اعنيته · فاما كوني شرقياً وهي غربية وكوني عثمانياً وهي انكليزية ولغتي عربية ولغتها فرنساوية فذلك لا يشوه محيا الامر الجوهري · وطالما انا هنا وانكلم بلغتها ومتخذ نفس العوائد التي هي نمت عليها ومتشرع بشريعة الحكومة الانكليزية ما زلت تحت سيطرتها كاحد رعاياها — فالامر سهل اجراؤه ولا من مانع يحول دون امنيتي

واما المذاهب فهم عديدون مختلفو الاديان ولكنهم متوافقون فاما ان يعتنق الواحد دين الاخر او ان يتخذ كل التساهل حليفه

وخصوصاً عصرنا الحالي الذي في ربيعه الزاهر الان لا يهتم احد بامر الدين لان صاحبه يتركه اما من وفرة علمه او لغاية في نفسه ولا اعني بذلك كرهي الدين او ابتعادي عنه بل تساهلي فيه . وهذه النقطة عرضية في كلمة موضوعنا . انما الجوهري منه ومن حديثنا مهما تشعب هو ان حنة تحبني كحبي اياها و يتوقف الامر على اذعانك الى مطلبي ومطلبها ولو منعها حياؤها عن اعلانه

اجابته الام :

وانا ياعزيزي اتخذ التساهل مبداي ولكن ليس ما يخالف الضمير به . سبقت فقلت لك انني اعتبرك كثيراً واعتبر شريف قولك وسديد رايك فان كنت عازماً على طلب ابنتي رسمياً اطيب خاطرك ولا اخيب املك ولكنني اطلب اليك الا تلج في الامر وتلح في انهائه ان بالقبول او بالرفض

واعدك ان حنة ستكتب اليك وانت تكاتبها اثناء تغيبك عنا الى ان تسمح ظروف زمانك بعودتك الينا حيث نراك ثانية فنخوض اكثر في هذا الموضوع . فاتكل على الله اذن وانسب الي الحكمة بعدم تسرعي في جواب نعم . لئلا يعقبه الندم . وعلى كل فانت لست بعيداً عنا . وانا ساذهب الى منتر يال لادخل ولدي الاصغر المدرسة فاراك هنالك ونتكلم في هذا الصدد

فقال ميخائيل : ارغب اليكِ ياسيدتي ان تعلميني عن موعد سفركِ الى منتريال كي الاقيكِ في المحطة حال بلوغكِ

اياها . وان يكون حلولك ضيفة كريمة المثوى عندي فقط ولا عند قريب لك فان المنزل منذ اليوم معد لقدومك وان ترافقك حنة في تلك الزيارة ولا اقبل لك عذراً في عدم اجراء احد مطاليبي الثلاثة

فشكرته الام شكراً جزيلاً واثنت على كرم اخلاقه ورامت التملص من العمل بشروطه الثلاثة فقبلت اثنين منهما انما الثالث وهو اصطحاب حنة فلم تسلم به

فتأثر ميخائيل قليلاً وقال لها : ان كنت تحبينني حقيقة وتعتبريني تحققي امنيتي وتجيبي طلبي بوعدك اياي شرفاً بان حنة ستكون رفيقتك الى منتريال

فاجابت سؤله ووعدته خيراً . ثم استحسنت الخوض في نفس الموضوع الاسبق فقالت

اسمح لي بان اقول لك . انني اسمع ان السوريين قوم فظاظ الطباع يحكمون على نساءهم بقسوة ويمتهونهن ويجبرونهن على الاشغال الشاقة . والمراة تعد ذاتها لديهم محتقرة ولا اعتبار لها . وهذا مما يجعل عندي ارتياب بحسن اخلاق السوريين مهما اظهروا انها سليمة ولينة وانهم يكرمون نساءهم وقد سمعت قصة عن جارة سورية كانت في حينا هذا . كان زوجها يشبعها ضرباً بيديه وعصاه ويصفعها على خديها اللطيفين براحتيه الخشنتين ويوليها كل امتهان ما جعلها تولي مدبرة منه . فمرة كانت تلوذ

بجارتها السورية واخرى بالاحتضار مدة الى ان يصفو عكر غضبه المتقد

فكيف تقضي هذه حياتها بعيش مر مع زوجها القاسي ؟ كيف يحتمل جسمها اللطيف الضرب الدائم ؟ فليست بحيوان ولم توجد لتهان · لم تكن لتمت كمداً وحسرة وعذاباً · فانها مثل الرجل ان لم تكن ارفع منزلة منه وارقى عقلاً واوفر تمدناً

البلاد والشعوب والحكومات في العالم المتمدن باسره تجل قدر المرأة وتاخذ بناصرها وتقتص من كل من يناوئها ويعاديها ويروم اظهار بأسه عليها · فلو كانت تلك المرأة السورية البائسة ذات نصراء او عاقلة لا بلغت الحكومة امرها فتبرر هذه لها الحق وتنتاشها من مآتي ذلك الضاري

انني احزن كثيراً على حالة تلك المسكينة ولا استطيع الحكم بان كل السوريين يعاملون زوجاتهم كذلك ولكنني لا انا في قول القائلين بان السوريين بوجه الاجمال لا يعتبرون نساءهم حق الاعتبار المقتضى للمرأة وبان نساءهم يجهدن نفوسهن في عناء الاشغال اكثر من رجالهن اذا اقتضى الحال

بحل انني اعتقد بان الشغل مهما كان لا يعيب صاحبه ولكنني ارى افراد الجالية السورية هنا من نساء ورجال كل يوم يخرجون للتجول والبيع في البراري والقرى المجاورة مستمطين على مناكبهم العلب الخشبية والجزدانات المملوة من البضائع ما يدعني اظن بان

ذلك يحط من مقاماتهم في اعين الوطنيين هنا اذ ان اولئك الباعة يمزجون حركاتهم اثناء بيعهم بالذل والخداع · ولذلك فابنتي حنة لما تصادف بعضهم في الشوارع تتجاهل معرفتهم وان ذلك سوى ضنًا باسمها لدى مواطنيها هنا· مع انها تكرم البعض منهم لانهم ذوو لياقة وادب

يحدثني س· عن السوريين في بلادهم وعن خمولهم وذلهم وانحطاطهم ما يحملني على تصديق ما يذكر عن السوريون من الهمجية والجهل ولا غرو اذًا من امتهان الرجل المرأة لانهم قوم فيهم خلتان ان لم تكن الاولى موجودة في فردهم فنقيضها اي الثانية متملكة فيه · وتانك الخلتان هما السيادة والذل الناجم عنهما الاستعباد والعبودية ففضلوا اطلاق عنان السيادة للرجل ووضع اغلال الذل في رجلي المرأة وشكيمة الصمت في فمها

اني وان كنت لا اعتقد بصدق قول س· اقتبس من زباد تقريره علماً يحتمل التصديق· ولكني لا اشمل من كان مثلك من السوريين النبلاء والاشراف . وحاشا لي ان اجعل مقامك من مقام ذلك الابله الذي ينطبق عليه ما سبق من الحديث وما الفرق بين الثريا والثرى

اجابها ميخائيل

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهمُ
فليس سواءٌ عالمٌ وجهولُ

وقال لها ايضاً

اسمحي لي يا سيدتي ان اقول لكِ ان الرجل الذي يهين امرأته فلا هو ولا هي من ذوي الفهم والتمدن ولو لم تكن راضية باعمالهِ لما بقيت معه ولا استمرت باحتمال الاهانات بل كانت وشت به الى الحكومة العادلة وتملصت من ربقة العذاب الجد

واما قولكِ عن اولئك الباعة الذين يطوفون في البلاد فمنهم شريفو النفوس واحوالهم الضيقة اضطرتهم الى التجـوال وهم يحافظون على حقوق الاداب والصدق و يتخذون كل ز بائنهم اصدقاء لهم ومنهم بعكس ذلك كما انك ترين هذا في مدينتكِ المؤلفة من رفيعين ووضيعين وليس كل السور يين باعة متجولين في اميركا لان منهم تجار مهمون واطباء نطاسيون وصناع حاذقون وعلماء شهير ون وكتاب ماهرون

مالكِ يا سيدتي ولوذء مقال الوشاة الحسودين فلو سألتِ عن السور يين في الديار الاميركية لعرفتِ ان بعضهم يقدر ون بالوف وملايـين من الر يات الاميركية وعلمتِ انهم عموماً قـومٌ كر يمو المحتد عفيفو النفوس مترفعون عن الدنايا

قومٌ قد هاجروا الى اميركا الشمالية والجنو بية او بالحري الى سائر اقطار المعمور تخلدوا احسن الاسماء ان بصحفهم اليومية ونصف الاسبوعية والاسبوعية والشهر ية او بتجاراتهم التي يفاخر بها تجار الاميركان او بشهامتهم التي يحسدهم عليها بنو الانسان

ويحلو بي ان اعرب لك ما وصفهم به احد شعرائنا البلغاء حيث قال :

ورجال الشام في كرة الارض م
يبارون في المسير الغماما
ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا
موقع النيرين خاضوا الظلاما
يمتطون الخطوب في طلب العيش
ويبرون للنصال السهاما

قوم عنه اخذت العلوم والصنائع والفنون وعنه نقلت الرسوم والآثار القديمة واليه مرجع الفضل في كل ما تشاهدينه من العجائب والغرائب. ومسكنه الاراضي المقدسة التي فيها وُلد سيدنا يسوع المسيح ونما ومات وقام واليها ارسلت الانبياء وفيها مدينة اورشليم الشريفة التي يزورها السواد الاعظم من شعوب اوربا واميركا المقتدرين ان يسيحوا في الدنيا • والخلاصة انه شعب عريق كريم انيس لطيف • فلو رأيت دنياً فلا يقوم مقام الشريف . او شاهدت وضيعاً فلا يكون بمثابة الرفيع العريف

فسرّت الام كثيراً من جواب مخائيل المقنع وتهللت خفية اذ انتقلت الى معهد التصورات في كيفية سعادة ابنتها لو اسعدها

الحظ بصير ورتها حليلة له ٠ اذ وجدت به شاباً اديباً صنع اللسان محباً وطنه ومدافعاً عن ابنائه ما امكن

فاطرقت قليلاً ثم نظرت الى ميخائيل وقالت له : قد سرتني حميتك وغيرتك لانك قد اخذت للامر نبله ٠ فاعتقد بصدق مقالك واعترف بلطف وكرم اخلاق السوريين

فسألها ميخائيل وهل من جواب ابعد منالاً مما اعطيتني بشان قضيتنا ؟

— لا ازال مصوبة رأيي وهو خير الاراء في حالتنا الحاضرة فانت تكتب الى حنة وتطمنها عن احوالك وهي تقابلك بمثل ذلك الى ان يتسنى لكما اجتماع آخر ببعضكما

واذ آذنت الشمس بالغروب طلب ميخائيل الى الام لتدعه ينصرف فلم تفعل الى أن جاءت حنة من شغلها فعملت على ابقائه ليتناول الطعام معها فبقي في منزلها حتى موعد الرقاد ٠ وقبل الانصراف اشعر الجماعة بسفره الى مدينة منتريال مساء اليوم الثاني فاوعزت الام الى ابنتها بعدم ذهابها الى العمل في الغد اكراماً لميخائيل فأبى هو اولاً اذ لم يشأ ان يوقف مجرى شغلها اليومي وقبل اخيراً لما تحقق اصرارها على ذلك٠ وشكرهما كثيراً٠ فودعهما على امل اللقا عند سطع الصباح وخلفهما يهذيان به و بسفره ومضى لينام

١١

اذ قد وعد ميخائيل خالة حنة بزيارتها عند سماح الـوقت انتهز فرصة في الغد وذهب ليراها فاقتبلته بكل ترحاب وابدت له كل ودّ ومحبة تعدّ والدية . وشرعت تستعلم منه عن حال الشرق وعظامه السالفين . فكان يخبرها عن كل ما يفيدها وسرد لهـا حوادث كثيرة جرت في فلسطين مشفوعة بعجـائب اذهلتها وقد شاقها هذا الحديث الى استماع اشياء كثيرة عن ارض الميعاد

فذكر لها ميخائيل حادثة جرت لديه فكان يشهد ويسمع من كل ما جريّاتها وذلك في قرية معلولا المجاورة جبل القلمون من اعمال قضاء النبك من اجناد الشام . ومعلولا كانت تدعى في العهد القديم (سلوقية او سلفكية) وفيها دير للقديسة تقلا المعظمة في الشهيدات واولهن . الذي يؤمه الزائرون على تباين الملل والنحل من جميع الاصواب للزيارة والبرء تبركاً بالقديسة تقلا وندر من جاء الدير بنفس شريفة ونية صافية وعاد خائباً . واما تحرير الخبر فهو :

ان المسلمين سكان جبل القلمون يعتقدون بالقديسة تقلا و باعمالها و يدعونها — المنتقلة — وعندما تعروهم الامراض العصبية لا يلبثون ان يقصدوا — المنتقلة —

فكان في مدينة بعلبك امرأة مسكـينة ساذجة قد اصيبت

بالفالج منذ امد غير بعيد وهي بحال الفقر المدقع اذ ليس معها ما تنفقه في امر التطبيب او على الاقل نفقة الطريق الى دير القديسة تقلا

وبعد مضي بضعة اسابيع تأهب البعض للسفر لزيارة القديسة تقلا وهم جيرة المريضة ومنهم من ذوي الفلل · فتألمت تلك المسكينة حزناً لكونها صفراء اليدين ولا مكنة لها لاكتراء دابة لتصحبهم · وبعد ان فكرت قليلاً في هذا الامر وفي حرمانها من زيارة البتول والشوق التبرك منها يقيمها ويقعدها فشامت وميض امل ملؤه ايمان وللحال التمست من احد من يحسنون الكتابة ليسطر لها عريضة الى مقام — المنتقلة — بها تتوسل الى البتول ان تشفيها وهذا هو نص الكتاب بالحرف الواحد كما هو محفوظ لدى ميخائيل :

معلولا

« الى حضرة الوليه »

معروض من جار يتك مريم بنت محمد علي وهبه بان حصل لها مرض وضعف من برهة قوية ولحد الان لم اخذت راحة وما رات صحة · فقصدت نعرض لحضرتك وتتدخل عليك بان بلا مامورية على حضرتك بان تمري عليها وتتكرمي بان تامري بشفائها ولك عليها بان اذا حصلت على الشفاء على يد الله و يدك تروح مخصوص

الى حضرتك تزورك وتبات بحضرتك ليلة · فعيله بادرت باعراضها لديك · وهي تطلب الشفاء والصحة والامر الى الله والى اوليائه ولك

بنده

جار يتك

مريم بنت محمد

علي وهبه

فطوت رسالتها مريم وسلمت بعض المسافرين اياها وطلحت عليه في وضعها في مقام القديسة باسم مريم قائلة انني اثق واعتقد بانني انقه تماماً من مرضي اذا وضعت هذه العريضة في مقام المنتقلة -- فوعدها الرجل خيرًا وعمل بقوله

واذ بلغ القوم الدير وباتوا الليلة الاولى جقق الله اما لهم فمجدوه على اعماله وعادوا في اليوم الثاني على الاعقاب وسلموا الكتاب الى رئيس الدير بعد ما ابلغوه خبر المفلوجة ووعدوه بانبائه عما يحدث لها

واذ بلغوا بعلبك ذهبوا توًا الى منزل تلك الفقيرة ليروا ماذا جد لها فالفوها نالت الشفاء وهي تقضي مهام بيتها بنفسها مبتهجة وحامدة الله على نعمائه وشاكرة له حسن صنيعه بها بشفاعة قديسته · وكانت بين الشك واليقين اذ كانت تخال نفسها غارقة في لجج الاحلام لما تراها تمشي على قدميها وتنتقل من زاوية الى اخرى في بيتها الصغير · وكانت متوقعة بذاهب الصبر عودة الزائرين

لتبشرهم بما صنع الله بها

وفي الاسبوع الثاني امتطت تلك المسكينة متن قدميها وامت دير القديسة تنقلا وقدمت فروضها مسبحة الله . تمت

ثم قال ميخائيل هذه الحادثة ياخالة واحدة مني المئات والالوف التي تجري في معاهد بلادنا المقدسة . ولو تذهبين مع اختك لزيارة هاتيك الاراضي الفلسطينية لسررت و بلغت منيّ في النفس

فاجابت : آه ياولدي كم اتمنى ذلك وانى يتسنى لي وانا قد تقدمت في سني والمراحل بيني و بين ارضكم تقضي عليّ قبل اجتيازها

انني قد تصفحت تواريخ الشرق وعلمت شيئاً عن احواله واتوق الى استماع كثير عن حوادث جرت فيه وعن سير اوليائه وعظامه وكاني بك ممثل الشرقيين فارغب اليك ان تحدثني بما يفيدني وطالما صبت نفسي اليه

فاخبرها ميخائيل عن كل ما افادها وسرها وحملها على الاعتقاد بان السور يين قوم كرام سليمو القلوب و لينو الجانب وقد اجاد في حديثه حتى لم يدع في نفسها حاجة

وما زالوا يتنقلون في حدائق الحوادث والاحاديث حتى اشرفا على هضبة موضوع (ميخائيل وحنة) فسبقها هو الى التحية وافسح للسانه المجال فكانت السيدة كلها اذاناً تسمع وعيوناً تلحظ

ولم تشم وميض داع تطرقت بـه الى الجواب حتى أبرزت من مخبآت ما يكنه ضميرها نحوه ومن نحو حنة فاسترعته السمع وقالت :

ياعزيزي ان سروري يفوق الوصف لعلمي عزمك الجديـد على العلاقة مع حنة فـكم تكون هي سعيدة بمشاركتك اياها في حياتها وكم تكون انت حسن الطالع وفي هنيء الحالة وكلا كما رافلين بمطارف المحبة ورغادة العيش ٠ فان حنة سيدة شريفة وعفيفة مخلصة ولطيفة (جميلة ووديعة) سيدة جديرة بان تلقى اليها مقاليد الامور البيتية وان يعتمد عليهـا في احوال كثيرة فانهـا تحب الاقتصاد والسعي الى ما يؤول الى راحة وسعادة زوجها ٠ ابنة تربت في مهد الاداب وشبت على روح الفضيلة متقلبة على سرير الدلال ومتخلـقة باخـلاق الملاينة والحس وخير الطباع ٠ فتاة منقطعة الى شغلها موجية عن الجنس النشيط لا ترفعاً بل اهتماماً بنفسها وخيرها وعملها

تأتي بيتها مساءً فتلقى امها الصالحة التي صرفت همها عن كل شيء وحنت على بنيها٠ وهي خير مثال صالح لها في التقوى وخوف الله والادب و يكفي ان تكون البنت كامها

اوكد لك ياحبيبي ان الذين تقدموك الى حنة في طلبها ما ورت بها زنادهم لانهم لا يستحقونها حقيقة فانت خليق بها وهي مرآة بك وقد وافق شنٌ طبقه

افضلك ياولدي على ابناء وطني هنا نظرًا لعلمك الغزير وفهمك الكبير وادبك الكثير ولمحاكاتك حنة في اخلاقها فجئتها الان في الاجل الحقيقي والحسن فتنالها عفوًا وحبًا اذ تعطى القوس باريها

هكذا اقول لك بجرأة وحرية وانا ابذل طاقتي في سبيل السعي في هذه القضية الى ان افلح لانني احب حنة كثيرًا فوق محبتي لابنتي وقد خصصت لها هذا المقعد الذي تشغله انت الان وهو لها فقط . وكم يتهلل فؤادي عندما اسمعها تناديني باسم عمتي بالانكليزية (أنت) (Aunt) وكم اردد هذه الكلمة في فمي اثناء تغيب ناطقتها عني وكم اتأمل في اعمالها وحركاتها واقوالها فتتخيل لي ملاك اللطف وذات قدم في العلم وربة الجمال والخلاصة من شدة تعلقي بها اراها مستكملة الشروط المقتضية للنساء اذ انني صرفت ايامي المنصرمة والمتعددة في معاشرة الملا فلم ارَ بعد ابنة تفي بالغرض المطلوب سوى حبيبتي وحبة قلبي حنة . فارجوك ان تعذرني ان كنت قد اطرأتها في المدح

وللحال نهضت ودهقت كاسًا من الخمرة المعتقة الجيدة وناولت ميخائيل اياه قائلة انني اعتياديًا اقدم لزائري مقدار نصف هذا الكاس واذ انني اعتبرك اولاً مضاعفًا وثانيًا ممثلاً حنة اسألك ان تجرع النصف باسمك والآخر باسم ولاجل حبيبتك حنة

فابتسم ميخائيل وقبل الكاس منها واعتذر لها بعدم

استطاعته رشف ملئه فلم تسمح له بـل قالت : ان كنت تحب نفسك وتحبني وتعز حنة تتناول كل المقدم لك

فشرب نخب الخالة والابنة وشكر لها لطفها وحنانها وقال ان ما تكرمتي به من الكلام قد حل على نفسي حلول الغيث على الارض الظمأى فقبلته بفرح كبلسم لكلم من سنان بهاء وذكاء حبيبتي حنة الذي سيدمى الم يتداركه ابراز قولك الى حيز العمل . لانني احببت حنة حبًا عميقاً لن تدرس رسومه من داخلي ما دمت حيًا . فهي ذات المحامد والمكارم والعفة والاداب

ولو ان النساء كمثل هذي

لفضلت النساءُ على الرجال

وهي ابنة الفضل واخت الرجال يوثق بها ويؤمن جانبها واجزأها ارتقاء عرش الامانة وقبضها على صولجان الوفاء فقد تملكت قلوب رعايا باقي الصفات بدون مشقة

فاعترف بحبي اياها الذي افتخر بـه وبالاخص عند ايقاني بمبادلتها اياي مثل ذلك . اذ قد بلل الهوى قلبينا ولا اخجل بهذا التصريح بـل اعتقد بان لا يطيب لاحدٍ منا عيش فيما بعد الا بتحقيق مناه من الآخر وهو الاجتماع الدائم الى ان يقضي الله امرًا كان مفعولاً وتدفعني مقدمات ذلك مع الامل بصحة نتائجها

الى ترديد قول الشاعر

ولو تلتقي اصداؤنا بعد موتنا
ومن دون رمسينا من الارض سبسب
لظل صدى صوتي وان كنت رمة
اصوت صدى حنه يهش و يطرب

فادعي لنا ياخالة بالتوفيق و بصحة الاحلام فنذكر بعدئذ هذه المساعدة بوفر السرور ونقول سقياً لذلك اليوم الميمون الذي فيه تيمنا في غير موضوع استفضنا

اجابت الخالة : اعلم ياولدي انني الان كلي السنة تهتف بالطلب الى العزة الالهية ان تتمم الامر على غاية مرامنا جمعاء وان توفقك وتسهل لك طرق الارتزاق والنجاح وتفتح لك كل ابواب الفلاح المعجمة فانك اهل لكل خير وكرامة وانا لا آلو جهداً في هذا السبيل الى ان اتوصل بسعيي الى النقطة الغائية من هذا الغرض

و بعد ان اسداها ميخائيل بعبارات الثناء قال لها : انني ساغادر هذه المدينة مساء اليوم وساودعك في ساعة الانصراف . واعدك بانني سا كتب اليك من منتريال دوماً على امل اخذ رجعى كل رسالة فاطمئن من نحوك واسمع كل جديد في هذا الشان

فاجابت بالايجاب وهكذا تم القول وانصرف مخائيل شاكرًا للخالة ما حبته من الحفاوة والاكرام والايناس

١٢

خالف ميخائيل الخالة في منزلها وقصد بيت حنة فألفاها بانتظاره وقد ابت الذهاب الى محل شغلها يومئذٍ اكرامًا له ولوداعه فسرّ ميخائيل لذلك كثيرًا لمعرفته منزلتهُ العليا لدى تلك العائلة الغريبة الشريفة

ولم يستقر بالمكان وقتاً الا وابنة خالة حنة قد جاءت للتعرف بميخائيل فكان كذلك وفرحت هي اذ وجدت ان صديق ابنة خالتها اديب فصيح اللسان في اللغة الافرنسية فقالت لحنة: اهنئك يا حبيبتي لحظوتك بنعمة حقيقية وباقتبالك عافي البشارة براحتك الدائمة فطوباكِ . واسرعت وانصرفت الى شغلها وقد سألت ميخائيل زيارتها عند والدتها وهي المعهودة خالة حنة التي كان زائرًا عندها

وعند القائلة طلب ميخائيل الى الام ان تدع حنة ترفقه للتنزه في ظاهر المدينة آناً قصيراً فعملت بقوله

فهندمت سر بالها وخرجت وميخائيل فحملا احدهما الاخر بالحديث حتى بلغا طرق المدينة واجتازا هنالك جسرًا طويلاً

فمكثنا على الضفة الاخرى من النهر وبعد مسامرة طويلة قال لها ميخائيل

اعلمي ياحبيبتي حنة انني قد وهبتك قلبي بطيبة خاطر وان اوهن عزمي عن ندم فانت الاولى والاخيرة التي احببت . اني وان كنت حديث السن ولم يهرمني الدهر بعد باختباراته واخصها في الامور الغرامية لاعتقد باني محنك في الفهم والتروي والفراسة فارني مصوباً سهمي ولست بمخطئ في رأيي عندما عولت على علوقك والثبات على قدم حبك الراسخ . واواصل عزمي المتواظد على عدم النكوب عن الافتكار بك والاهتمام بامرك والعمل على التوصل الى الحظوة بك عاجلاً لا اجلاً

فلا يغرنك حبيبتي زعم البعض الفاسد بان (من ياخذ من غير ملته يموت بعلة غير علته) بل احذى حذوي في الاعتقاد وايقني بان الراحة تستتب للزوجين متي كان قلباهما متحدين وهما مخلصين احدهما للاخر بقطع النظر عن القرب والبعد في الوطنية حتى امرها لا يهم ابناء هذا العصر

كم اسمع عن البيض الذين يتعشقون الصفر والزنوج في الاونة الحاضرة وهم غير مبالين باقاويل غيرهم ان عذلوا او عذروا بل متبعون اهواءهم فكم بالحري نحن البيض المتساوون في اللون والقامة واللباس واللطف والكياسة حتى اللغة فماذا اذاً يفرقنا عن بعضنا او يدعنا متبايني المرامي غير امر الصبغة الوطنية والمذهبية

فهل تسلمين بذلك ياعزيزتي وتقتفين اثر الاعتقادات القديمة والترهات الخرفة ؟

اجابت حنة : انني اذهب مذهبك وانهج منهجك واسلم برايك الذي اعتقد بسداده . فانا انت في كل ما ترتئي اذعن لكل ما تشير اليه

فسألها : اذا كتبت لكِ رسائل ضافية اتملين منها وتعرضين عن اجارة الجواب ؟

— لما تكتب اليّ تحريراً ذا صفحتين اجيبك بآخر ذي ثلاثة

— اذا خاطبتك بالآلة التليفونية اتجيبي ام لا تريدين اشغال الاسلاك الكهربائية بصوتك اللطيف ؟

— اذا خاطبتني اليوم اقابلك بالمثل غداً اذ انني ارغب باستماع صوتك الحي يومياً فضلاً عن رجائي اياك ان تداوم مكاتبتك لي ويومياً ان امكن واما انا فلك علي الوعد الصادق بوفد رسول يراعي اليك عشية كل صباح . ايدعك ذلك راضٍ عني

— انني ابذل النفس والنفيس في سبيل سرورك ورضاك فكم بالاحرى وانتِ تسألين رضاي . فآه ياحبيبتي كم اقاسي حرّ الجفا في حال تنائي عنكِ فكيف العمل ؟ اتودين ان اترك الشغل في مدينة منتريال وابقى قربكِ متمتعاً بمشاهدتك وشمولاً بنظرك السعيد ؟

— كم اتمنى ذلك من صميم الفؤاد ولكن الشغل اهم من كل مهم ايها الحبيب . فلا ادور عليك الا بملازمة شغلك المعطى خير الصيت (لان الصيت افضل من الغنى العظيم) والناجم عن كل نتيجة مادية عاملة على المعيشة . . . فكم اتقلب على احرّ من جمر الغضا اثناء تغيبك . ولكنني اسأل عزته تعالى انه اكرم مسؤول ان يجعل حياة هذا الفراق قصيرة جداً

فقال ميخائيل : اعلمي ياحنة ان امر تعرفنا ببعضنا بعضاً وحب الواحد الآخر وعزمنا على اتمامه حتى الغاية لسديد جداً فاننا حسبما ارى مستاهلان احدنا الثاني وقد نذهب الى وطننا السوري فتلفين اراضٍ غير هذه وترتيباً سوى هذا وخلائق دونها هذه فتُسرين جداً وتنالين صحة لم تكوني لترجيها . اذ ان هنالك المناخ الجيد والهواء النقي الطيب وارواح النباتات الذكية الوفرة . حيث المعيشة البسيطة الهنيئة

تلك هي ارض الميعاد والاراضي المقدسة هنالك الاماكن التي يؤمها القاصي والداني من ذوي الثراء للتبرك بمعاهدها الدينية . فنقضي فيها فصلاً او فصولاً ونعود الى هنا ان لم يطب لك العيش فيها

فهكذا تكون حياتنا بسيطة متوسطة الحال ما دمنا بعيدين عن المدد الوالدي الوطني . ونسير في خطة الاعتدال والاستقامة . وذلك افضل لنا وكلانا موضوع قابل لنهج سبيل التقوى والخير .

الا تذكري ما قاله الحكيم : (الفقير السالك باستقامته خيرٌ من معوج الطرق وهو غني)

واوكد لكِ حبيبتي بانك متى جئتِ الشام ترغبين بها عن سواها من اعظم مدن العالم . فطيبي نفساً من هذا القبيل وايقني بحظٍ وافر فيما ياتينا من الايام . وسوف آتيكِ بتاريخ فلسطين فتثقين بصدق قولي ومتى سمعتِ او قرأتِ وصف الشام لنزعتِ من هذه الدقيقة اليها ونتسبب بها قطانها وانتزحتِ عن ديارك طالبة جلق الفيحاء التي اجاد في وصفها الشعراء المغرمون بها ومنه قول بعضهم

دمشق سقاك الله صوبَ غمامة
وما غائبٌ عنكِ فذاكَ رشيدُ
عسى مسعدٌ لي ان ابيتَ بارضها
الا انني لو صحَّ لي لسعيدُ

اجابت حنة : ان نفسي حقيقة قد تاقت الى بلادك وزيارتها وانا اعدك بانني اشئمُ معك (اتي الشام) بلا تكلف وقد نبقى فيها دهرنا او نؤوب الى هنا مع آلك ان احبوا مرافقتنا . وكيفما نقلب الحال فسآتي بكلما ترتاح اليه ويكون عاملاً على مسرتك

فشكرها ميخائيل والحّ عليها بعدم اهمالها امر المراسلة وقال

لها انني لا اوصيك بشي ولا انبهك عليه ابداً فالامانة والوفاء هما منك وعليك ادائهما وانا في ذلك اعتمد على اخلاصك . واسألك ان لا تهتمي بامر س. ابداً ولا تصدقي حرف كلمة من كتاب اقواله السمجة ولا تهتمي بذرة من اعظم اعماله المستقبحة فان اقواله وافعاله تحقره وتنبذه من الهيئة الاجتماعية

وكل ما في غير مثواه ثوى

يسمج في العين و يوذي من رأى

وكل ما عن منهج الطبع التوى

تنكره الناس ولو نفعاً جنى

فلا تعتدي به و بحفلقته

فصادقت على قوله واجمعت عدم الاعتداد بذلك الشاب مطلقاً لانه ليس سوى نذير سوءٍ وعامل على الشرّ وقد قال سليمان الحكيم عن مثله (الرجل اللئيم . الرجل الاثيم يسعى باعوجاج الفم . في قلبه اكاذيب . يخترع الشرّ في كل حين يزرع خصومات)

ثم طلبت الى ميخائيل ان يعودا ائلا يبطئا . فرجعا و بحثُ الحديث الحلو المذاق يمخر لجج يمّ الحب العميق وقد طابت لهما ريح المواضيع المتعددة الى ان رسى في مينا منزل حنة فدخلاه

وعندليب البهجة ينشد اغنية الاخلاص على افانين دوحيتي محبتهما المكتسيتين باوراق الاقبال السندسية · والمكللتين ببراعم الامال النقية الوطيدة والحقيقية · والتي ناحت اغصانها طرباً

فاقتبلتهما الام المحبة بكل ترحاب وقالت لهما قد اخلفتماني ما وعدتماني به وهو عود كما قبل هذه الساعة · ولكني اعفو عنكما الان بطيبة خاطر « وابتسمت مُرِية اياهما ان ذاك مزاح » · ثم سألت ميخائيل ان يصرف تلك الليلة ايضاً في المدينة و ياخذ قطار نصف الليل والحت بذلك فاضطراراً اجاب طلبها واستأذن منها ان تدعه يقتبل اصحابه السوريين هنالك الذين جاؤا على بكرة ابيهم لوداعه في بيت نسيبه توفيق فاطلقت سراحه مشترطة عليه بعود غير بطيء

فذهب والتقى باصحابــه الذين ابدوا استياءهم من مبارحته اياهم اذ وجدوا به شاباً اديباً ومحباً اصدقهم الاخاء · فاكد لهم شدة تاثره من مغادرتهم وحرمانه من مشاهدتهم الى حين فيه يتسنى له العودة الى مدينتهم · ونحو الساعة العاشرة انصرفوا داعين له بسفر ميمون و ببلوغه منتريال سالمـاً فشكرهم وشيعهم الى الطريق وقفل راجعاً نحو حنة التي كانت بانتظاره مع والدتها وشقيقتها

رام وداعهم فأبوا الا مساهرته ايضاً الى موعد مجيء القطار حيث فيه يرقد حتى الصباح فقبل وجلس بقرب حنة · فلم يكن

من الام وابنتها لوسيا سوى ان دخلتا غرفة محاذية وخلفتا الحبيبين لوحدهما ريثما يفاتحان احدهما الآخر بامور شخصية سرية — ادبية —

لم يستنر الظبيان بمصباح الوحدة الا واشعرا باهمية الفراق الذي اظلم داخليهما ولعثم لسانيهما اذ شخص باصرا كل منهما بالثاني و يداهما اليمين متقابضتين وقد اتصلت بالجسمين الكهربائية الحبية . فالفت لغة تفهم كليهما بسكون وصمت . فقال ميخائيل بنفسه هذه البرهه الوجيزة هي الوقت الاخير الذي ارى فيه حنة وكل دقيقة تنصرم تقرب اجل الاجتماع فكم اشعر بعد ذلك بألم الفراق وكم اذكر هذه الدقائق الاخيرة التي في خلالها اتملى برؤية الحبيب وكم احزن لوجداني في ظلام الوحشة وكم اردد قول ابن بقي :

ودعت من اهوى وقلتُ تاسفاً
صعبٌ عليَّ بان اراك مفارقي

او قول سواه :

وكل مصيبات الزمان وجدتها
سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

و بعدَ بكامة طويلة فتح ميخائيل فاه وقال لحنة كم اشعر

بحرارة الفراق من ملامسة يدكِ اللطيفة التي ستكون يدي بعيدة عنها · ولكني اثق بيقين بانني ساراكِ زائرة عندي مع والدتكِ بعد بضعة ايام التي ستصفو لنا وفي اثنائها سنستفيد من كل ثانية من دقائقها كيلا تفوتنا منفعتها

فوعدته ببذل المستطاع في سبيل اقناع والدتها لتصطحبها الى منتر يـال

وقبل ان دقت الساعة الثانية عشر همَّ ميخائيل بالذهاب وودع الجميع فاشعر وقتئذٍ في داخله بتغير من حالة الحرارة الى البرودة و بالعكس وكان هول هذه الحال اشد وقعاً على قلب حنة التي كررت اعتذارها مراراً له لخللٍ افترط من الجميع نحوه في تقديم واجباتهم له

فشكر لهم حفاوتهم بـه ولكل لطفٍ وايناس ابـدوه له طالباً الى الام عدم الحنث بوعدها بالذهاب الى منتر يال مع حنة · فاجابته بالايجاب· ثم عطف ميخائيل الى حنة فودعها ثانية ولسان حالـه ينشد :

ودعتهـا و بودي لو يودعني
طيب الحياة واني لا اودعها

فدعوا له بالتوفيق والسلامـة واستلفتوا انتباهه الى امر مراسلاتهم وتطمينهم عنه فاثبت لهم ذلك بوعد حرّ · و بارحهم

وفي قلب كل فرد منه ومنهم حسرات وزفرات اصعدوها عملاً بحكم العوامل

ثم تنكب عنهم نحو بيت قريبه توفيق لوداعهم فصحبه نسيبه الى المحطة فبلغها والقطار الذي سار به يخترق التلول والسهول البطح الى منتريال فوصلها صباحاً

١٣

اما ذو السين (س) فقد التهب فؤاده حسداً وغيرة من اعمال ميخائيل ولم يرتح باله كل يوم اطال وقت اقامته هنالك وكان يملل عن سبب تأخر هذا الضيف الذي اصبح بعرفه ثقيلاً . فلم يعلم لذلك علة سوى محبة البنت التي لم تدعه يسافر ويتركها

واذ ايقن بعلوقها ميخائيل وثبوتها على محبته ثار جاشه وطار صوابه وعزم على تقويض كل ركن دعمه المحبان ونوى على موالاة العمل الى ان ينال مناه وهو تحبيبها اياه . ولكنه قد خسيء عن مرماه اذ احبط مسعاه وفسد فأله

واما النهار الاخير الذي فيه تنزه ميخائيل وحنة سوية قد كان شؤماً على س . اذ جاء اثناء تغيبهما الى البيت فلم يرها فسأل لوسيا عن اختها فأجابته انها مع ميخائيل في ظاهر المدينة

يتنشقان نقي الهواء و يرتشفان معاً في الخلاء كاس الهناء

لم يجب شيئاً في هذا الصدد بل ازمع ان يأتي ما يثير الخواطر و يحمل القوم على بغض ميخائيل . فترك لوسيا غضوباً وخرج . فسار توّاً الى محل ابنة خالة حنة فالفاها مع مساعدتها لوحدها فسألها : اين حنة يا سيدة؟

اجابته : لا ادري علمت انها اكراماً لصديقها الجديد لم تات لتشتغل اليوم كما انها البارح وقبله لم تأت هنا

— عجباً ابهذا المقدار تحبه وتعبده وماذا حملها على حبه ؟ الانه سوري ساقط خامل ام لانه ماهن محتقر ؟

— لا ادري سوى انها مسرورة منه لانه اديب وشريف وذلق اللسان

— قد ذهبت الان الى منزلها ولم ارها فقد خرجت منه وميخائيل من الصباح ولم يعودا حتى المساء وفتشت عنهما فلم اجد لها اثراً ومن مظاهراتهما السابقة وتغيبهما الطويل اليوم فهمت انهما هربا من هذه المدينة الى منتريال خفية بدون معرفة خالتك . فستغضب حقيقة هذه الليلة من عمل بنتها وقد بلغني ان الام قد نمت ذلك الى الحكومة التي بعثت رجال الخفية للتفتيش على الهاربين حيث يترامى امر رملانهما الى الخذلان وسينالان جزاء ما اقترفا من الذنب كلاهما

— اصدقني المقال بحقي عليك وارفع المزاح

— هذا ما نُمي اليّ وفهمته وقد ابلغتك اياه حسبما علمت

— قد يكون ذلك من مرمعات الاخبار فلا تأخذ الامور على عواهنها بل اذهب واستقص لي فيها وعد سريعاً بالخبر اليقين

— على كلٍّ فسنعلم ذلك جيداً بعد الساعة السابعة اذ ينجلي لنا الامر بواقعيته ولكنني استغرب كل الاستغراب بل انذهل عندما اعلم ان ابنة لحنة عاقلة اديبة اريبة يفعل بها هوى احد الاغراب الذي اعرف حسبه ونسبه ونشبه . والذي لا يملك شروى نقير بل كفى ان قلت انه صعلوك ايام عطالته اكثر من شغله . فآه ماذا اغرها به . انني احتسبت عليها هذا الامر الذي اعده غلطاً ظاهراً تؤآخذ به . اذ كان يتوجب عليها عدم الاقدام على امر كهذا وهي العلاقة مع شاب غريب قبل التعليل عنه والاستعلام من ابناء وطنه

قد تغرّين انتِ وخالتكِ وابنتها من مظاهرات السور يين في هذه المدينة ظناً منكنّ بان بعضهم تجار والاخرين متمولون ولكنكنّ لم تدرين بانهم ليسوا اغنى مني واذ انني من الخالية خيو بهم هكذا هم . لانهم كلهم مديونون ولا يملك احدهم ريالاً له خاصة

فكلنا متساوون بالخصاصة وان شئتِ ان اعدد لكِ اسماءهم وكلاً ما هو مركزه في الهيئة الاجتماعية والمقدرة المالية لنبذتيهم جمعاء نبذ النواة

— كيف اذاً يدعون بانهم تجار ومتملكون ومثرون العلهم كلهم كاذبون وفي دعوة الفشار مستبضعون

— نعم صدقتِ فيما نطقتِ وكلهم في تلك الرتبة متساوون بل شهاب الدين اقبح من اخيه . فماذا دعا حنة الى حب ميخائيل هل تاهت عن عقلها ام ضلت عن سواء السبيل فياللعار ماذا يقال غداً : ان حنة احبت سورياً احد اولئك الباعة المتجولين المتسولين . فما احسن ذلك الوسام الذي ستحرزه باتخاذها سائلاً بعلاً لها . فياللشنار

انهيها عن غيها ان كانت لا تزال باقية في هذه المدينة ولم تصح الاشاعة والاّ فستلبسوا كلكم يااقارب حنة جلباب الخزي والعار . وانا اكون اول من سيخر بكم

فصدّقت (ابنة الخالة) قوله ولم تسترب به لان (كلام النمام مثل لقم حلوة فينزل الى مخادع البطن)

فكم يضرّ بالهيأة الاجتماعية وغد ذميم كهذا وكم يحمل قوماً على الاساءة لاخرين بوشايته وسعيه بهم وكم يغضب فاطره امرؤ عطل مثله لانه ذو (قلب ينشئ افكاراً رديئة ارجل مسريعة الجريان الى السوء) وهو (شاهد زور يفوه بالاكاذيب وزارع خصومات بين اخوة)

وفي المساء جعلت البنت تسائل عن ابنة خالتها حنة فعلمت انها في بيتها فهدأ روعها انما الذي غرسه س. في داخلها فقد

تمكنت جراثيمه واخفت هي ما يكنه الضمير الى الصباح حتى اذا ما افضح ذهبت الى شغلها وانتظرت حنة

فجاءت هذه المحل لتشتغل فالفت كلاً من ابنة خالتها وصانعتها شانفة اليها فابتدرتهما الى الحديث وسالت ابنة خالتها عن الداعي الى شزرهما اليها

اجابت تلك: انني مستعدة للاستقصاء في امر ذهابك البارح انت وصديقك السوري الى ظاهر المدينة وكيف تم ذلك؟

– وماذا يعنيك هذا الامر

لانني تبلغت انك فررت واياه الى منتر يال وارسلت قوة لالقاء القبض عليكما افلعل ذلك كان صحيحاً

— ان كنت هربت ام قبض عليَّ فانا لست انت ولذلك ارجوك عدم مباحثتي في هذه المسالة

– لا يشق عليك ذلك ياحنة ولا تغتاظي عند ذكرنا اسم حبيبك السوري. كفاك فخراً انه سوري

– انني اقبل بذلك فماذا يهمك

– قد غرّك باقواله واعماله ولم يبدُ لك منه سوى الثوب الخارجي واما الداخلي فهو بخلاف ماتظنين او تزعمين. فاريحي بالك من عناء الافتكار به واهتمي بشغلك فترتاحي من كل هذه المشاغل والمتاعب

– مالكِ الان ولهذا الحديث الذي لايجديك نفعاً فالان

وقت شغل لا حديث وبطالة

— تغييرك الموضوع وتنقلك في الحديث يثبتان لي حبك ميخائيل السوري وتعلقك به . فاقلعي ياحنة عن ذلك واعلمي ان مقامك ينحط وتصيرين مضغة في افواه الناس. والشامتون بك كثيرون . بل تصوّري ان السوري ليس شريفاً . ليس عفيفاً ولا رفيعاً ولا من مقامنا

الاتخجلين اذا قيل لك ياامراة السوري الذي يمر بنا ليبيعنا او ليجدينا ونحن مرة نتصدق عليه واخرى نمتهنه ومثلها نطرده

الا تتمنين ساعتئذٍ الموت او ان تفتح الارض فاها فتزدردك فيالخجل والعيب والعار

ـ الست انا حرة ووالدتي . فهذا ميلي وهذا رأيي وهذا مذهبي فماذا يهمك انت . فان كنت لا تحافظين على حقوقك الادبية دفعتني للعود الى بيتي وانا في غنى عن الشغل ابداً

ـ لك ملء الحرية فيما تشائين اجراءه ولكنني على يقين من صدق قولي لان شهادة س . السوري بابناء وطنه الذين يعرفهم قلباً وقالباً ادمغ حجة على صحة اعتراضي عليك وتانيبي اياك

ـ طالما وثقت بكلام ذلك الارعن س . ارجوك عدم ذكر كلمة واحدة بعد في هذا الموضوع وهو هو لا ريب نمّ اليك هذا النبأ وروى لك هذا الحديث . فسأريه هذه الليلة ماذا اعمل

به وما هي نتيجة زرعه بذور الشقاق والضغائن في القلوب فيتعلم عندئذٍ اهمية هذه الامور وسوء مغبتها

قُطع كل حديث في هذا الصدد وشرعت كل تشتغل شغلها العادي الى الظهيرة . فانصرفت حنة الى بيتها واطلعت والدتها على سر الامر

فهاج غضب الام واتقدت عيناها تأثرًا وعزمت على تسليم س. الى الحكومة لتقتص منه وتربيهُ ولكنها تمالكت عن ذلك نفسها ووجهت افكارها نحو التروّي والحكمة عملاً بقول الحكيم (لاتبرز عاجلاً الى الخصام لئلا تفعل شيئًا في الآخر حين يخزيك قريبك)

فدعت بعض السوريين من اقارب س. واخبرتهم عن ذلك فما عتم احدهم ان تتبعه فاهانه ولطمه وانذره بعدم مجيئه الى بيت حنة ابدًا وبعدم ذكر كلمة عنها لئلا يودع قاع السجن فيذوق من عذابه في هذه البلاد الوانًا

فسامحته الام ولكنها آخذت ابنة اختها بقولها لحنة ذلك وبعملها فتاثرت هذه منها وعرّضت بابنتها وعنفتهما . فحقد كل فريق على الآخر وقطعت حنة الشغل عند ابنة خالتها التي حملت امها على بغض اختها فتنافر القومان وتفاقم الامر بهما الى ان نقمت الاسرة كلها من حنة وامها واشقائها لان هؤلاء يريدون التقرب من سوري ومصاهرته

تذهب حنة الى بيت خالتها فيقطب آله وجوههم ولا ترى منهم سوى نفور وذاك ما تعاملها به منازل عمها وخالها وجدتها فعراها سآمة من ذلك

فذهب شقيقها الاكبر الى البلدة التي فيها شارل يشتغل ليهيء نزلاً لعائلته فيسكنوا هناك و يبتعدوا عن ثرثرة هذا وذاك

فما لبثت العائلة ان اجلولت الى تلك البلدة وكارت منزلها لتريح اذنيها ونفسها

فاشمأز ذووها كثيرًا وانتقدوا عملها اذ كبر الامر عليهم لزعمهم ان الامّ قد هجرت آلها من اجلال السوري . وحكموا انها لم تات عمل الادراك

واما هي فلم تحفل بكل تقوُّلاتهم بل اصرّت على تنفيذ مأربها ولو كره المتشدقون

وفي تلك المدة كان قد تغيب غلام سوري في مدينة منتريال عن بيته وبقي نحوًا من عشرين ساعة تحت ظل الاختفاء ما اقلق راحة آله وذوي قرباه ففتشوا في النواحي المتعددة دون ان يقفوا على اثر فاعلنوا عندئذ ذلك على صفحات الجرائد الافرنسية المحلية ناشرين رسمه ومعددين صفاته الحميدة

فلما اطلع على تلك المقالة بعض مناهضي حنة قطعوا تلك

القطعة برمتها مع الرسم وكتبوا تحته اذهبي (ياحنة) وتقصقصي اثره واعيديه الى اهله

فدرجوا القصاصة في بطاقة وارسلوها الى حنة حيث هي مقيمة والتي لدن اخذها تلك الرقعة ومطالعتها تاثرت من اعمال الحاسدين وغايات المفسدين ولم تحكم بتاتاً من الفاعل

فاستعظمت امها ذلك واتخذنا لهما الصبر خير وسيلة واتكلتا على الله تاركتين المبغضين مسترسلين في غوايتهم الى ان يتيخبوا

كان الصبي الكبير يعمل جلاء نهاره و ياتي بيته مساء متأسياً مع والدته وشقيقته و بقية الاسرة على مضض العزلة لانهم الفوا معاشرة افراد اسرتهم الكبيرة

١٩

لما بلغ ميخائيل منتريال ضاقت الدنيا لديه وادلهمّ كل نور ولم يستقر فكره الاّ عند حنة وقد عنّ له امر العودة على الاثر الى مدينة (ثلاثة الانهر) اذ لم يعد له جلد على احتمال النوى مع انه حكيم صبور وقد صح فيه قول الشاعر :

عندي اصطبار واما انني جزعٌ

يوم النوى فلوجد كاد يبريني

فاحتمل مرارة مصابه وجاء محل العمل الذي انصرف اليه بنشاط حتى انهى ما تأخر من شغله

ولم تأتِ الساعة السادسة حتى اتخذ يراعه وشرع يسوّد الصفحات الى الحبيبة حنة مبدياً وجده وهذه خلاصته :

حبيبتي حنة:

ان كتبتُ اليكِ بدون ترتيب فلا الام لان المرتب ليس هنا الآن . وان لم احسن كفاية رسالتي هذه فلا عجب لان يدي تخطئ وما من قريحة تملي

اكتب اليكِ وانا على رغم تحققي وجودي هنا لا ازال ظاناً انني بقربك فكتابتي اليك الآن كمخاطبتي اياك شفاهاً

حبيبتي من فرط حزني على انفصالي عنك قد عراني صداع حتى لم يعد لي طاقة للعمل في شغل الغير — الضروري — فكيف العمل وحبك قد اخذ مني ماخذاً عظيماً بمده لا استطيع احتمال فراقك ؟

فاسالك وذلك حقيقة واقترح عليك احد امرين ولكِ حق الاختيار

ان لم تات الى هنا سريعاً حملتني على ترك شغلي ومغادرة منتريال . فانت مطلقة الحرية اكثر مني . وتقدرين ان تجيئي باكثر سهولة من ذهابي انا اليك . ومن ذلك اقدر على الحكم بماهية حبك اياي

عفواً حبيبتي لا امتحنك بذلك لانني اعتقد ان حبك اياي هو ثابت مخلص وحقيقي . ولكن ماذا اقول لاضطرك الى المجيء السريع ؟

وبما ان والدتك تروم الاتيان الى هنا مع اخيك الاصغر وانت ستكونين رفيقتها ارجوك ان تلحي عليها بالاسراع لئلا اتالم كثيراً من جرّى الفراق والوحدة

هذا كتابي الاول لك ارجو ان يكون جوابه حال الاطلاع عليه لاطمئن من نحوك واطيب نفساً بوعدك اياي باجابة الطلب

انني ارى الان النور ظلاماً والناس اشباحاً واحاديثهم هذياناً وكل شيء لاشيء وانت لا تزالين نصب عيني وموضوع كل حديثي . ومصباحي في الدجى الذي صار يجل الليل والنهار فلا تدعي نورك بعيداً عني لئلا اعثر في الظلام الحالك بل اقربي اقربي واتيني بنبراسك حالاً

ادني مي وانعشي فؤادي بانفاسك الذكية وشنفي اذاني بدررك العسجدية واحيي آمالي بوعودك الحقيقية . وحققي امنيتي بطلعتك البهية . حفظك سالمة رب البرية

فالجواب عند اخذ هذا الكتاب . واسمحي لي بقبلة واحدة من فمك اللطيف   محبك الامين

ميخائيل

سلم الوكتبه رسل البريد الذي سار على قوة البخار وقدمها الى الحبيبة حنة التي تلقتها بوفر السرور فتهلل منها الفوآد وبادرت للدقيقة برجعى الجواب وهذا نحواه

حبيب الفوآد ميخائيل

تمكنتَ ايها الحبيب ان تجلي عن نفسك بعبارات نهبت من قلبي سوادَه واطارته اليك مع عقلي الذي صحبك مذ بارحتني ولذلك اقصر عن ان اعبر عن ضميري لك ما اقاسي من الم الفراق

فان عملتُ مثلك او حاكيتني بعملي لما احتملنا مرّ التنائي بل همنا على وجهينا في فيافي الهيام واصبحنا كريشة في مهب الريح

فلنستقرّ بحكمة الى ان يمنّ مولاك بانفراج هذه الازمة . وان ذلك سوى قريب . فلا تقنطنّ بل فلنسلم الامر بارينا وهو يهدينا الى خير الوسائل الآئلة الى الصبر .

واما امر سفرنا الى مدينتكم فسيتمُّ في الحين القريب ويبدو لي ان والدتي لا راي لها في مسئلة مرافقتي اياها وانا افاتحها صباح مساء في هذا الصدد واسألها وعدي ذا الوفاء

فطب نفساً من هذا القبيل وساراك قريباً بعد ان انبئك بذلك فتلاقينا قبل ان تؤم امي اقاربها

اختتم كتابي بمقابلتك بختام رسالتك ودم في هناء
لصديقتك المحبة
حنة

وقد تواصلت المراسلة بينهما الى ان صارت يومية · ثم بلغ ميخائيل نبا الفتنة التي اضرم نارها س · وماذا عمل وما هي النتيجة التي نجمت عن حركته الشيطانية · وكيف كاده وشان الاسم السوري وانكى من الكل نسبته الى ميخائيل كل حقارة وصغارة نفس وللسور بين كل ذلة وحطة

فعظم لديه الامر واخذ منه التاثر ماخذاً عظيما لان س · يسعى ان يحط من مقامه وهو يقصر دون ذلك · ففكر في معاقبته على ما كان منه مستكبراً الامر ومردداً قول المعري :

اذا عير الطائيّ بالبخل مادرٌ
وعير قساً بالفهاهة باقلُ

وقال السهى للشمس انت ضئيلة
وقال الدجى للصبح لونك حائلُ

وطاولت الارض السماء سفاهةً
وفاخرت الشهب الحصى والجنادلُ

فيا موت زُر ان الحياة ذميمة

و يا نفس جدّي ان دهرك هازلُ

الا انه فضل الحلم على مؤاخذة اللئيم المعتوه . وحوّل همه الى حنة والحّ عليها بحضورها الى ان تمّ ذلك بعد اسبوعين من مبارحته اياها

١٥

ولم يصل مدينة منتريال القطار الذي يقلّ حنة وامها وشقيقها حتى كان ميخائيل و بعض ذويه واحبابه بالانتظار لاقتبال الزائرين في المحطة ولدن الالتقاء استقبل ميخائيل زائريه بكل ترحاب واخذهم توًّا الى منزله فقدم لهم كل حفاوة واكرام ممثلاً الكرم السوري الذي سمعوا به ولم يروهُ بعد

فتضاعف حبهم لميخائيل لا لبذله بل لحسن اهتمامه بهم ولكونه اهلاً لاستلام قيادة بيت وان كان حديث السن

كانت فرصة اقامتهم في منتريال ثمانية ايام في خلالها لم يدع منتزهًا الا اخذهم اليه ولا مشهدًا او مرسح تمثيل الا ادخلهم اليه ولما كان يدعوهم اقاربهم من الفرنسيس الى منازلهم كان ميخائيل يرافقهم ولا يدعهم يبيتون خارجًا بل يعود واياهم . حاسبهم كآله

اما حنة فقد سرّت كثيرًا من رؤية حبيبها ثانية فتهلل

فؤاده فرحاً لتمتعه بمشاهدتها ايضاً كالتقائه الخروف الضال . واما الام فسرورها كان يتضاعف كلما فهمت بان حب الحبيبين يتزايد وكانت تدعو لهما بالثبات وخير النتيجة

فعاود ميخائيل استعلامه الام عن عزمها الاخير والحديث في امر تسليمها بمطلبه واعترافها بقبول الفتيين خطيبين لا صديقين بسيطين كي ينقطع الاول الى حب الثاني و يعلم انه ينتسب الى الاخر اجبارياً من حيث العلاقة ولا مفرّ له من ذلك فيما بعد عند التقائه بطرْف آخر يحسن او يتحسن في عينيه

فأبت الامُّ الاذعان معللة نفس التعليل الاول وراشدة ميخائيل الى ما فيه خيره وداعية له بكل خير وتقدم . وقالت :

قد تحققتَ ايها الحبيب ان حنة تستحقّ ان تُحب وتنال كل كرامة لادبها الرائع واستقامتها ومراعاتها حرمة واجباتها البنوية وصيانة الذات . وقد تاكد لي انها قد مالت اليك فوق المنتظر وهذا ما سرَّني وجعل املي وطيداً بثبات حبكما وبتميم الامر حسبما نترجى واياها

وفي هذا الصباح قد بدا لي راي اخر . تعلم ايها الحبيب بان الانسان لا يقدر ان يحكم غيابياً عن ضمير غيره وعهدي بك من الاذكياء والمطيعي والديهم . فانا قد قبلتُ بك ورضيتُ عنكَ ولا يهمني تسليم افراد اسرتي بذلك لاني انظر الى صالحي ومتى علمتُ ان رايي سديدٌ اقتصرتُ عن استشارة سواي . فكم بالاحرى

وقد رأيت ابنتي حنة التي اعدُّها حكيمة قد انقطعت الى حبك كثيراً . هذا من نحونا . واما ما هو بشأن آلك واقاربك فقد يستاؤُون من اقدامك على عمل قد يقاومونه ولا يرضون به . فكم ارى من الانسب قبل التاميل والوعد ومباشرة ادنى شيء ان تسال ذويك لعلهم يقبلون او يرفضون .

حتى اذا اخذتَ الجواب بالقبول هممتُ انا بدون معارضة واعتراض بتحقيق امنيتك والتفاوض في هذا الامر معاً .

قال هو اعتقد ان ما يسرُّني يفرح آلي وما يرضيني يهلل افئدتهم وانا لم اخابرهم بهذه المسئلة بعدُ الى ان يتمَّ ما نحن بصدده : واني على يقين انهم سيجيبون بالقبول مع الادعية الحارة بالتوفيق والنجاح : فاذا لم يبتهجوا لسروري فمتى يكون فرحهم اذن

هي : لا اعني انهم يمقتونك لا سمح الله او لا يبالون بك و بسرائك وسرورك . بل قد لا يوافقونك على رايك من اتخاذك اجنبية زوجة لا يفهمون لغتها ولا يتوافقون واياها ذوقاً ومشرباً ان اجتمعوا بها هنا او هناك

وهذا ما قدمته لك بادىء بدء واخلصتك النصيحة به من حيث الاختلاف بين عوائل الزوجين وما شاكل .

اجابها : اعلمي ياأماه ان والديَّ لا يأتون عمل ما اشرت اليه بل يذعنون الى طلبي و يسلمون برايي و يتمنون لي كلما ابتغي .

وحنة جلّ المبتغى الآن · فما لنا ولاشغال افكارنا بذلك وهو لن يكون · فلنعرض عن التنبوء ولنهتمّ في ما هو خير لنا وافيد · ·

— اني اخمد هذه النار الان وانتظر ماذا سيكون من اهالك الدمشقيين على امل ان تخبرني ذلك منك فارتاح من هذا القبيل · واعود لسوآلك متى تاتي لتزورنا في بلدتنا الجديدة التي حللناها لاجلك هرباً من سك مسامعنامن اقوال تافهة مآلها التعريض بنا

— كم تكدرتُ من ذلك وكم احزنني عمل س · الذي عدم الاهتمام به و بعمله اولى . ولكن ما كنت لا اريده قد تمّ الآن بانتزاحكم عن مدينتكم (ثلاثة الانهر) واتمنى لكم كل صحه وراحة في ارضكم الجديدة التي وطئتموها وانا اسعى جهدي في سبيل زيارتكم باقرب حين انما الوقت غير محدود

— لا احب ان تعمل على تعطيل شغلك بل ان تاتي الينا في الآن المناسب لك ·

وفي اليوم السادس من اقامة الام وحنة في مدينة منتريال سألتا ميخائيل ان يسمح لهما بالانصراف فلم يفعل بل وعدهما لليوم الثاني وفي الثاني للثالث الى ان صرحت الام بعدم استطاعتها الى المكث اطول من ذلك لان اولادها الباقين بانتظارها وقد طلبوا اليها برسائلهم الضافية الحضور العاجل

وفي النهار الثامن جاء ميخائيل ببعض اشياء كحلى وقماش هدية لحنة وذهب لوداع المسافرتين مشيعاً اياها بكل اكرام

واسف لفراقهما وقد صحبه الى محطة القطار كثيرون من الآل والخلان اجلالاً له ما عمظه في عيني الام

وبقوا هنالك الى ان تحرك القطار وسار مهيجاً ما سكن من القلوب فاسال العبرات الحارة ونزف من الافئدة قطرات صحراء تقابل تلك السائلة من المآقي · ودعا الخواطر ثائرة وشروط الراحة مضطربة والالسنة تلهجُ بماجريات فرصة ثمانية الايام · الى ان اوفد اول رسول من حنة وهو كتابها الاول المعربة فيه عما نابها من القلق والحزن والاسف مشتركة مع والدتها بذلك

وكانت عبارات ذات التحرير صادرة عن قلب مدمىً فتفتت قلب القارىء واجري دمعه السخين

١٦

اما ميخائيل فقد كان اثناء تغيبها وانحجاب شمس انسها عن افق مركزه هائماً لايدري ماذا يعمل ولا يجد وسيلة للتعزية سوى باعراب افكاره وما يخطر له يومياً على القرطاس الذي كان يرسل منه عدداً الى حنة · وهي كانت تفيه الكيل كيلين · وتريه انها غارقة في لجة بحر الهيام الذي هو على وجهه

ودام على تلك الحال الى ان تسنى له مغادرة شغله بتة في خترٍ بال وللحال انبأ حنة بذلك التي ما لبثت ان اجابته على الفور بالطلب اليه زيارتها قبل ان يوصل حبل العلائق الشغلية

في محل اخر لانها بشوق وافر لرؤيته

فما عتم ان عمل باشارتها وامتطى القطار توًا الى البلدة الجديدة البعيدة حيث ألفى قوم حنة بانتظاره في المحطة هنالك الذين اقتبلوه بكل اكرامٍ وسرور واخصهم شقيقها الاكبر الذي لم يكن بعرفه قبلاً

فكم كانت انوار السرور متالقةً تلك الليلة وكم كانت الافئدة مبتهجة وكم كانت العيون متلألئة بقطرات الحبور واعني بها عيون المحبين اللذين لم يقطعا مراسلتهما ساعة عن الموعد المضروب بينهما حتى التقيا

فقال لها ميخائيل : كم اراني سعيدًا الان ياحنة لاجتماعي بكِ ايضًا بعد قلق عظيم واضطراب كثير وهذٍ بكِ مؤلم وافكارٍ ابعدت عني الراحة وسممتني وهوذا اثار تلك السمة بادية على محياي · وكنت اسعى جهدي في اخماد جذوة هذه الشدة بصرف افكاري عن هذه القوة الفاعلية وكنت اداوم مراسلتي لعلي اتأسى فلم يجدني ذلك فتيلاً · وكلهُ دون الحظوى بكِ وجهًا لوجهٍ والتمتع بانسكِ شخصيًا:

جمع المهيمن شملنا بعد النوى

وأنالنا من جودهِ الاوطارا

فشكرته حنة كثيرًا واثبتت له سرًّا وعلنًا بان عندها له اكثر منه

وفي بدء تلك الليلة قبل انارة المصباح اي نحو الساعة السادسة دخل شاب دون قرع على الباب . وتقدم الى القسم الداخلي من البيت دون استئذان . فاستغرب ميخائيل هذا الامر وانكره على الشاب

واذ لحظت حنة ذلك من ميخائيل قالت له اتعلم من هذا الشاب؟

اجابها : لا ياسيدتي لم تسبق لي حنة معرفة برجل كهذا عارٍ من الادب ولولا حب الاستقصاء من كنه امره لما رغبت في معرفة ذي قحة مثله

— ارجوك ان تخفض صوتك وجس يدي بل وجسمي فترَ انني ارتجفُ رهبةً من هذا الشقي وفرائصي ترتعد عند ما تظلم عليَّ هيئته المرعبة ولدن ذكر اسمه . الا وهو شارل الذي حدثتك عنه واخبرتك عن قبيح صفاته

— أ هذا هو شارل الغير اللطيف ؟ أ هذا هو السمج الاخلاق ؟ أ هذا هو الفظ الطباع ؟؟ انني لم اتحققه جيداً لحول السواد بيني وبينه . وان كنت ايضاً لا احب ان اراه . اودُّ ان انظره حتى اذا ما اجتمعت به او صادفته ابان كنا اعرفه واحذره . . . .

— ارجوك ان تقطع ذكره والا تتذكر به والا تطلب معرفته . وقد سألني مراراً عنده ومن اي البلاد انت . فاجبته بانك من لوندرا انكلترا وبان اسمك « مكد ونالد » واذ علم

بانك في منتريال قد قصدها وجعل يستعلم عن مركزك ليراك ويتعرف بك ويلقي نار الفتنة بيني وبينك فلم يتوفق الى ذلك وعاد بخفي حنين ولا ادري الآن ماذا يعمل. ولكني لن ادعه يحادثك او يخاطبك او تجتمع به ابداً . وفضلاً عن ذلك لا اريد ان آتي بسراج الى ان يخرج وسافصل لك عن حال هذا الشقي وما ياتيه من الاعمال . ومعظمها نحوي

واما شارل فدخل الى صدر البيت حيث وجد الامّ في المطبخ فقطبت وجهها ولم تردّ عليه السلام وقالت له : كيف تدخل علينا وما تقرع الباب . وماذا تبغي بذلك ؟

— لاي شيء ولكنّ فرط املي بكِ دفعني الى ذلك ؟

— ان املك غير محقق بي وعملك هذا متجاوز الحدود الادبية . فان لم ترعوِ عن جهلك وتتزيا بكساء الآداب ولو لم تكن من شيمتك لا اريدك ان تاتي بيتي ولا تؤمل بي ابداً . فاجزاك ما اسات به اليّ في السابق وكفاك همجية وغطرسة فان الكيل قد طفح . والا الزمتني الى رفع كل حنان وابعاد كل شفقة . فانت تكون الجاني على نفسك والملوم على ذلك.

فصار شارل يهدّئ روع الامّ بابدال الحديث وبابتسامه وهشاشته وبقوله لها : انتِ امي وما تريدين ان تفعلي بي فلكِ مطلق الارادة ومتى جئتكم فيما بعد سانعركم بقرعي الباب

وبعد هنيهةٍ تناول من جيبه مسدساً محشواً بالرصاص

وقال لها : خذي وانظري هذا النوع من السلاح الجديد والحسن الطرز والكبير الحجم والذي يلمع كالشمس

فتغاضبت الامّ كثيرًا وقالت له : ولمَ تحمل هذه الآلة الجهنمية ومن كلفك باراءي اياها وماذا تقصد من عملك هذا والى مَ اتملك وحتى مَ اتصبر . قم الان واخرج من بيتي ولا تعد تريني وجهك فلا طاقة لي باحتمال توحشك

فقال لها شارل : ان هذا المسدس هو لهذه الساعة الذهبية التي اتقلدها الان . انظري ما احسنها وما اثمنها وكنت اريد ابتياع اخرى نسائية ولكن لم تاتِ الساعة بعد

حدث ذلك على مشهد ومسمع من ميخائيل وحنة ولوسيا وهم بجانب الباب الخارجي . فهامست حنة صديقها بان ما يذكره شارل عن الساعة هو لاسماع حنة اذ يقصدها بكلامه واما المسدس فهو لارهاب الجميع بأسره ولكنهم غير مبالين به وكلامه التافه كالهباء لا يجعل تأثيرًا

ولشدة ما عرا شارل من الخجل وما ناله من الخيبة والاهانة قال للامّ : الان وقت العشاء فاريد الذهاب * فلم تجبه الامّ * كانها تقول له * لا يعيقك شيء عن الرحيل بالعجل * فنهض واقترب من الام واسرّ اليها شيئًا وخرج من باب المطبخ * غير متجاسر على المرور بقرب الاحداث حرّاس الباب الثلاثة

فطلبت حنة الى امها ان تخبرها عما ابلغه اياها شارل سرا

فاجابت

قد سالني من هو هذا المقيم بجانب حنة ولعله (مكدونالد) الانكليزي . فان كان هو اريد ان اتعرّف به صباح غد حتى اذا رايته يليق بحنة احور عليك بان تزوجيه اياها .

فضحك الجميع من هذه الخفة والطياشة وكيف تحدثه نفسه بالاوهام و يبني آماله على رمال الاوهام العجزاء

لو كان خفة عقله في رجله

سبق الغزال ولم يفته الارنب

فسهر الجماعة واخو حنة الاكبر الى ما بعد منتصف الليل مع انهم اعتياديا يرقدون الساعة التاسعة ولكن السرور ابعد عنهم كل ميل الى الوسن

واذ هبوا من الرقاد صباح الغد تناولوا الطعام وجلسوا يتحادثون برهة واذا بناقر على الباب بلطف فتطالت حنة من النافذة فرات شارل فاشعرت والدتها بقدوم « الغير اللطيف » فاشارت الام على الحبيبين بالتواري عن عيني القادم حتى لا يكون له نصيب بروءية ميخائيل والتعرف به

فتوارى الاثنان في حجرة واحدة واوصدا الباب واقاما بكل سكينة ينتظران انصراف شارل .. انما حنة كانت تضطرب اضطرابا هائلاً وكل فرائصها ترعد وقد شحب لونها بعد تورد وجنتيها على رغم كونها مع من يحفظها وداخل الاقفال

دخل صاحبنا شارل . فحيا الام بالسلام وقال . اين حنة ؟
فاجابته . ليست هنا

— واين هي هذا الصباح ؟

— قد ذهبت الى ادارة البريد لتستعلم عن رسائل وردتها

— كيف تم ذلك وانا في ذلك القصر الاخضر انظر هنا واترقب كل حركة تجري عندكم ؟

-- قد قلتُ اك قد ذهبت الى بيت البريد وماذا تبغي بهذه المحاولة وعدم التصديق ؟

— اهل هي وحدها ام مع رفيقها « مكد ونالد » ؟

— كلاهما ذهبا منذ نصف ساعة

— اذاً انتظر هنا الى ان يعودا

فصرف نحواً من ساعتين مع الام وهو يشغلها بالحديث وينتقل في آجام انواعه حتى ضجرت واذ لح علامة السآمة على وجهها قال لها :

ان ادارة البريد لا تبعد عن هنا مئة خطوة افتستغرق هذا الوقت الطويل للذهاب والاياب وهي بان الصديقين يتنزهان الان في هذا البرد القارس * يجب ان لا يغيبا اكثر من ذلك وقد مللنا من انتظارهما * ولكني (مدام) اعتقد كل الاعتقاد بان قدم حنة لم تطئ ظاهر الباب هذا

الصباح بل هي في حجرتها هذه المغلقة وان كنت لا

— ارج نفسك من عناء هذا المقال وثق بصدق جوابي ولا تكن

تصدقيني فالبرهان فتح هذا الباب فقط

طفولياً وكفى

— اذا كانت حنة خرجت هذا الصباح فكيف تدع رداءها

هاهنا الامر الذي يدعني ارتاب بمبارحتها هذا المنزل

— قد ارتدت كساء شقيقتها

— وهوذا الاخر معلقاً فلمَ تريدين ان تحمليني على تصديق

ما يخالف ضميري ؟

فانتقلت به بالموضوع الى سواه لاهيةً اياه عن الحدس

والهدس خشية من ان يدفعه حمقه وحنقه الى اقتحام الباب من

باب المزاح فتكون النتيجة وخيمة جداً من كل حيثياتها

فقالت له : شارل*شارل* ارجوك ان ترفق لوسيا الى

مستودع الحطب وتساعدها في احضار قليل منه مؤونة للمساء

—سمعاً وطاعةً* ولعلي التقي بحنة لما اعود. فخرج ولوسيا الى الخارج

اما الام فنادت المختبئين ففتحا الباب حالاً وعملاً بالرأي

الثلاثي انتقلا من غرفتها الى غرفته واقفلا بابها وحنة لا تزال موجسة

خيفة من ذلك الغدار فوق كل ملاطفة ميخائيل اياها وتشجيعها

وكانت تقول له : لا اعرف كيف تحل بي الرهبة منه ولا ادري

كيف ارتعش لدن رؤيته واستماع صوته

فقال لها ميخائيل لاترهبي له بأساً ولا تخشي جانباً فانه ان تهدد فتهدبده ليس سوى نباح فلا تلقي له ما تلهيه به بل اريه بانك غير مكترثة و بان لك نصراء كثيرين من يردون كيده الى نحره

ولم تمض بضع دقائق حتى سمع الحبيبان خفق اقدام شارل محملاً حطباً ولاهثاً كالثور من شقه . واذ دخل البيت هرع الى غرفة حنة فاقتحم الباب املاً يغشوه الضحك المتعالي الصوت فلم يرها فقالت له الام : ولم فعلت ذلك كانك لم تصدقني بانها ليست هنا

اجل انني اصدقك هذه الدقيقة ولكن فكري يحدثني بحركة جرت منذ هنيهة فلا ادري اهي صاعقة انقضت من العلا ام بركان انفجر ام نهر طغى ام قيامة قامة ام معركة حدثت بهول ام انتقال عظام من مملكة الى اخرى

— وما مغزى كل ذلك ؟

— لاشيء بل اقول ان لا احد في العالم يقدر على النساء سوى فاطرهن العظيم . وان حنة قد سافرت من القريـة اذ فات على وجودها خارجاً ثلاث ساعات واريد الان ان اذهب الى ادارة البريد لاتفقد من فيها .

فلبس قبعته وخرج ..

وللحال اطلق سراح الظبيين من كناسهما باسمي الثغر لعدم

انزعاجها بمجالسة ذلك الضيف الثقيل فقالت لها الام : لامشاحة بان شارل سيأتينا هذه الليلة و يثقلنا فالاولى بكم ان تذهبوا كلكم وتتنزهوا في شوارع وضواحي هذه البلدة وتعودوا موعد الرقاد فترتاحون من الاسر والقلق

وفي الوقت عينه عملوا كذلك حيث جاء شارل ولم يلفِ احداً في البيت سوى الام فلم يقم فيه اكثر من بضع دقائق وانصرف متأثراً كثيراً من سوء معاملة تلك العائلة له عند حضور (ماكد ونالد)

فاضمر لهم كل مكر وخداع وعزم على التنكيل به عند اول فرصة تمكنه منه ولم يطلع احداً على هذا السرّ

١٧

وفي الغد باكراً طلب ميخائيل الى حنة ان تذهب الى المصوّر الشمسي لياخذ رسمها فيحفظه ميخائيل ذكراً منها ما ظلّ بعيداً عنها. وكانت تلك هي المرة الاولى للارتسام ولم تفعل ذلك قبلاً وليس من شانها او ميلها ولكنها حباً بسائلها ما عتمت ان ذهبت للحال واياه وارتسمت ثلاث هيئات فاخذ منها ستة رسوم واعطاها ثلاثة فقط وكسر بيديه الزجاجات الحاملة الصوَر كيلا يعاد سحبُ شيء عليها وذلك باجماع كل العائلة

اما ميخائيل فقد بعث بثلاثة الى ابويه دمشق الشام و كتب

على قفا كل منها فصلاً عن اطوار وخلال وعوائد تلك الابنة واسمها ونسبها دون سابق رمز الى ذلك او اشارة او استشارة عن هذه المهمة

وفي النهار نفسه سطر كتاباً موءلفاً من خمسة عشر سطراً بالعربية ودعا حنة لحملها على نقل ذلك بيدها على ورقة بنفس الترتيب. فعملت بسرور وتأن اذ جاءت بكتاب ذي كلمات عربية واضحة ذات حركات كما رقمها ذلك الاستاذ العربي للتلميذة الافرنسية اذ يحكم الناظر من ذلك لاول وهلة بان مسطر هذا الكتاب قد تمرّن على الخط العربي لمدة لا تقل عن الثلاث سنين

والاغرب مما ذكر ان حنة قد تعلمت وصارت تميز كل الحروف الهجائية في تغير اشكالها من اول كتاب تكلفت تنميقه. وهو (اي الكتاب) نص ليكون من حنة الى والدي ميخائيل وهذا مختصره :

سيدتي الام سليمة

اجابة الى طلب صديقي واخي وحبيبي ميخائيل اكتب اليكِ هذه الرسالة التي ارى تكلفاً والتي فيها اهديكِ كل سلام زاهٍ زاهر واحترام فائق عاطر. سيدتي انني متشوقة لرؤيتكِ لما سمعته عن حميد فعالكِ وحسن اقوالكِ. واطلب اليه تعالى

ان يمنَّ عليّ بسفر قريب الى ديارك السورية فاتمتع بمشاهدتكِ وافراد عائلتك الميمونة

قد تستغربين مكاتبتي اياكِ دون سابق معرفة او ذكر شيءٍ عن سرّ علاقتي مع ولدكِ ميخائيل . فسيكتب اليكِ هو موضحاً كل امرٍ ومميطاً النقاب عن كل اشكال فبمعرفة السبب يرفع العجب

اطمئنكِ عنا كلينا باننا صحيحا الجسم وكاملا الصحة وفي شوقٍ ذكت ناره للاجتماع بكم جمعاء واهديكِ الان ثلاثة من رسومي على امل قبولها مني علها تسرّكِ وتكونين بها وعنها راضيةً . وعلى ثقة بان آخذ منكِ رجعى رسالتي بعود البريد وذلك باللغة الافرنسية وبقلم ولدكِ الحبيب حنا

فاقبلي اذاً ما عندي من شعائر الاحترام والمحبة واقبليني كولدٍ لكِ مخلصة الطاعة . وانا اعتبركِ بمثابة والدتي الحنونة

واقدم في الختام لكِ فروض احتراماتي مع اذكى تحياتي الى لفيف الاسرة الكريمة ودومي في هناء

لولدكِ
حنة

. . . . . .

فاخذ الكتاب ميخائيل منها منذهلاً من ذكائها الفائق اذ انها انتجت خطاً واضحاً لا يرتاب بكون الكاتب عربياً .

فطوى الرسالة وادرجها بطن بطاقة وارفقها بالوكة منه اوضح فيها حقيقة ولباب القصة وكيفية تلك العلاقة من الالف الى الياء . وسأل ذويه آراءهم في هذا الشان مستولياً انتباههم الى الامر وطالباً اليهم الاجابة بالايجاب بانياً قوله على ان ما يسره يعجبهم . وما يرضيه يفوق رضاهم وقبولهم ولذلك فيعتقد بانهم يذعنون الى مطلبه ولا يخيبون طلبه

وعن الكتاب وبعث به باسم الرحمان وعلى نية التيسير كيلا يلقى ادنى معارضة تجر ذيول التقولات وتضارب الظنون . وسأل الجواب على جناح السرعة واعداً بانه سيزيد آله ايضاحاً وافادة في هذا الصدد بعد اسبوع

غدت العريضة والرسوم على الطائر الميمون والسريع تطوي البرور والبحور الى ان وقعت في ايدي تلك الام الرؤوم (سليمة) فطار فوآدها جذلاً اذ ظنت بان ولدها ارسل لها رسومه حسب وعده السابق واذ فضت الغلاف نظرت صور بنت مثلثة الرسوم . فراعها ذلك غرابة اذ خالت بان تلك الارسالية ليست اليها لانها لا تحسن القراءة

فهرعت الى زوجها قائلة ان ناقل البريد قد اعطاني هذه العطية من كتاب ورسوم واذا بها ليست لنا فلعل خطأ حدث فنعيدها الى ادارة البريد

اخذ زوجها ما بيديها وتمعن به ونظر الى قفا الرسوم

متأملاً فيما خط عليه واطرق الى الارض قليلاً ثم فض الرسالة واذا بها مزدوجة بتوقيعين الواحدة باسم ميخائيل والاخرى باسم حنة . ثم اعاد النظر مايًا الى ما بيديه والتفت الى امرأته قائلاً :

ابشرك بان ولدك قد حان موعد زواجه وهذه هي العروس المدعوة ..... فماذا تعملين ؟ اتذهبين لتشهدي زفافه ام ماذا ؟

— ابمجرّد خطاء حدث من عمال البريد تريد ان تحوّل الحال ال هزل لتعلم رايي . فبحقي عليك ارجوك ان تخبرني حقيقة الامر وتطمني في هل هذه الرسالة من ميخائيل ام لا ؟

— نعم هذه منه وتلك من حنة وهوذا رسمها مرسل اليكِ وفي كتابه يستشيركِ في امر زواجه بها فانها حسب قوله آيةٌ في الادب والكمال والجمال

— وما هي جنسيتها لانها على ما يبدو لي غير شرقيــة

— هي افرنسية المشرب واللغة وكندبانية الموطن

— ان كان ذلك صحيحاً ولو كانت حورية من حواري الجنان لما سلمت باجراء ما عزم عليه . آه . انني انتظر اليوم باليوم لاخذ نبأ منه يشعرني بقدومه لاحتضنه واغله بيدي وكل قواي ولا ادعه بعد ذلك يفلت مني فقد تقرح جفناي من دموعي الحارة

المنسجمة على خدي اللذين نضبت ماؤهما كمدًا وحزنًا لتنائيه عني

فكيف اشير عليه بعلاقته الدائمة مع تلك الابنة الاجنبية حيث يهجرني مرة واحدة اضطرارًا واجابة لطلب مالكة فوآده فتتمكن اصوله في تلك الديار ويصبح كالدوحة القديمة التي يتعذر اقتلاعها

ارجوك يا سيدي ان تكتب الى ولدك رسالة ضافية بلهجه قوية ملؤها نصائح وارشادات واعهد بنباهته عدم الاسترسال في طريق كلها وعوثة الغي والطياشة وايضًا الاذعان لانذارنا لانه مطيع لنا ولو لم يكن كذلك لما استأخذ راينا

فبادر دون تردد الى تنميق كتابك قبل حدوث ما اخشى

هدئي روعك قليلاً وعلينا ان نتوقع تحريرًا آخر منه السبة القادمة فيه اكثر تفصيل واوضح بيان فتروّي قليلاً ولا تاخذي لذلك كبير اهمية

فعولا على انتظار كتاب آخر من ولدهما جسبما وعدهما

١٨

اما ميخائيل فكان يقيم سحابة النهار داخل المنزل كالاسير مع تلك الاسيرة اللطيفة والام المحبة والشقيقة المماثلة والدتها في المحبة

وكان يوميًا يطلب الى الام ان تسمح له بالسفر الى منتريال وهي لم تفعل بل حددت له الوقت نصف هلال • فلم يخالف لها امرًا بل سألها ان تسمح للحبيبين في التنزه ثاني الايام في البرية على عربة مسافة ثلاث غلوات فقبلت حياءً منه

وفي اليوم الثاني تاهب الخلان الوفيان للمسير واذا بالعربة قد اقبلت فصرفا الحوذي وتخذا على عاتقهما امر السوق وهكذا كان فدعت لها الام بالانبساط والتوفيق وسالتهما الاياب العاجل

فسارا متناسمين ومتنشقين نسم الهوى والهواء ومتبادلين رقيق الاحاديث العذبة حتى ابتعدا عن البلدة وصارا في منتصف الطريق تحيط بهما السهول المكتسية دثارًا قشيبا ناصع البياض من الثلوج المتراكمة التي تسفيها الرياح الى الطريق فتؤلف تلالاً واودية من دقائق الثلج الجاف لشدة البرد حيث المارة لا يرون سوى بضع خطوات الى الامام والوراء

وكان يومئذٍ نهارًا جميلاً ذا سماء صاحية وطقس لطيف فلم يكن حديث الخلين سوى في امر السعادة التي ستطرأ عليهما من اجتماع كوكبي سعدهما ومعيشتهما على بساط الراحة وفي منزل الهناء وماء اخلاصهما زلال وطعام عيشهما مريءٌ هنيءٌ

و بينما هما يبحثان في امل وطيد و يوم عتيد اذا بسهم ناري اطلق بجانبهما الايسر حيث ميخائيل فاضطرب الاثنان والتفتا

ليستطلعا الامر واذا بشارل لاثماً ومقتحماً العربة شاهراً بيده مسدسه وصارخاً بميخائيل بعنف ليذعره وقال له : قد دنا اجلك يا غريب وليس لك من حنة نصيب ففكر بموتك القريب

هتف ذلك بالافرنسية وعيناه تتقدان غضباً وهمم على ميخائيل شاهراً مسدسه واطلق عياراً نارياً منه جمح الجواد براكبي العربة لا يثنيه شيء وقد اشتد عدوه حتى غاب عن بصر شارل بالمركبة ومن فيها

فشرع هذا يطهق ويركض ولا من فائدة الى ان عيّ بامره وغلب عليه وعاد بصفقة الخاسر المغبون بل الائس المنبوذ ابداً . فجعل يندب سوء حظه لعدم تحقيق امنيته . ولم تر زناده في هذه الفرصة اذ كان يقول دائماً للام : انني ايان التقي بحنة منفردة . افرّ بها رغماً عن ارادتها

وهكذا كانت تحذره وتتقي جانبه خوفاً من ان ياتي عمله المنكر بتتميم قوله المذكور

مسكينة حنة كم خفق قلبها وامتقع لونها وطار فوآدها وغاب رشادها تلك البرهة التي فيها خرج من الارض ذلك (الشيطان الرجيم) لينفذ مكيدته بما اضمر لميخائيل الذي لم يسيء اليه قط وبتلك الابنة العفيفة النفس والذيل التي لم تقابله بما يحمله على هذا العمل الجهنمي الشيطاني

فاجل الشاب بعيد قسراً عنه وثوب الابنة نقي عنوة عن

فوته وحيلة الدنسة الرجسة

فاتفق ميخائيل وحنة الاَّ ينميا الامر الى الام لئلا تغتاظ وتتألم وتتلوَّم عليهما لذهابهما وحدهما الى برية خالية من الناس وشكرا الله لانقاذهما من يدِ بربرية وثرثرة عالمية وشماتة اهلية وهكذا عزما على حفظ الامر طيَّ الكتمان الى ان ينتقم من ذلك الشقي الرحيمُ الرحمان

وبعد مضي بضع ساعات عادا الى المنزل وتمَّ القول بينهما بان الواحد يرسل خاتماً الى الثانية كتقدمة وعلامة خطبة ان لم يتمكن من احضاره شخصياً — الى ان يتم عقد الزواج وهو بعد حول كامل من عهد الخطبة

واذ بلغا البيت اقبلتهما الام بكل ترحاب مسرورة لسرورهما الخارجي وقد اطلعاها على امر الاتفاق عن الخاتم . فاعترفت بذلك وشكرا لها حنوها

وبقوا في ظلّ الهناء والسرور الوارف حتى غارت شمس الخمسة عشر نهاراً وافل بدرها فاستعد ميخائيل للسفر في اليوم الثاني شاغلاً وحنة كل دقيقة من ساعات ذلك النهار وقد احييا الليل وحركة اللسان لم تقف . حتى اذا ما حان موعد مجيء القطار خرج مودعاً واي قلم يصف تلك الحاسيات والشعائر عند المودّع والمشيع

١٩

آبَ ميخائيل الى مدينة منتريال مجتازًا تلك المسافة في القطار بدون شعور بها لانه غاص في لجج التصوّرات التي اودعته قاع الخيالات والاحلام فكانه لم يبارح الحبيبة اذ انه كان يحادثها ويمازحها و يسارّها كالعادة حتى بلغ مدينته فهب من تلك الغفلة مذعورًا لعلمه بانه امسى بعيدًا عن انس الحبيب وان ما كان فيه من الحال اثناء الطريق هو اضغاث احلام

فعاد الى حزنه وتأملاته ورسائلة الضافية اليومية المقابلة مثلها من ذلك المثيل . وقد صرف همه عن الاشغال ورغب عن كل حال الى ان يحظى بجنة التي بنى عليها كبير الامال . .

واذ قد وعدَ آله بزيادتهم ايضاحاً في شان الابنة نمق لهم كتاباً مفاده : بانه قد علق بالبنت وهام بها كثيرًا وهي تستحق كل ذلك لجمعها جمال بين جاذب يسحر العقول وادب وافر ياخذ بمجامعها ولسان حديد مع ذكاء رائع ما يغالي الصديق به وخليقة بان تحِب حباً ارقى من العبادة . وبانه لم يكن متوقعاً ان يتصل حبهما الى هذا الحد :

والحبُّ اول ما يكون مجانةً

فاذا تمكن صار شغلاً شاغلا

فقد تآلف قلباهما وتمكنت رباطات الحب بينهما رغماً عن كل الموانع التي كانت تحول دون مرامهما

واذا تآلفت القلوب على الهوى
فالناس تضربُ في حديدٍ بارد

وبانه قد ابلغ اهله بذلك اجابة لداعي واجب البنوة ولصوت ذلك الحب الذي بلغ منه مبلغاً عظيماً فحمله على اباحة امر هذه الحكاية

وبح باسم من تهوى وذرني من الكنى
فلا خيرَ في اللذات من دونها سترُ

وقد ابان لهم بانه قد يستحيل فصم تلك العروة الحبية التي قد تمكنت من الحبيبين وان البنت مع وفرة ما لاقت من الصعوبات في طريقة هذه العلاقة من آلها لم ينثنِ عزمها عن مواصلته حبها ولذلك فيجب عليه ان يحاكيها بعملها عملاً بشروط المروءة والوفاء

وانه وان قام بهذا الواجب يرى مع عقله المعهود عند ابويه بانه مصوّب سهمه وبانه ليس بمخطئ في عمله . فضلاً عن ان البنت ستصحبه الى دمشق متى عزم على الشخوص اليها وقد طمنهم من هذا القبيل

وختم كتابه برجائه ابويه ان يوافقاه برأيه ويسمحا له

باتمام العمل ويدعيا له بالتوفيق وان يصدقاه القول بانهما قد قبلا من كل قلبيهما وبملء ارادتهما

فطوى رسالته وبعث بها على جناح البريد ملحاً بطلب الجواب العاجل

وبعد ان صرف الاسابيع خلياً من الاشغال ومحشواً من التبجو قنط من البطالة وقطع مكاتبة اصحابه صارفاً الوقت الى مراسلة حنة

واذ ورد رسالة من صديق له حميم صاحب جريدة عربية في نيو يورك ليساله ان كان يحب ان يعلن طلب مركزٍ في بطن جريدته يفعل ذلك بسرور . فبشكر اجاب طلبه واثنى على حبه الصادق ووفائه الاخلاصي

وبعد الاعلان ببرهةٍ يسيرةٍ طلبه احد تجار نيو يورك ليكون عندهم كاتباً يقوم بمتطلبات الكاتب التجارية فقبل ووعدهم بالايجاب والحضور بعد ثلاثة ايام

هنا الحزن الاشد تاثيراً والمصاب الاكثر هولاً لتنائيه عن حنة مسافة شاسعة حيث ينتقل من مملكة الى اخرى . فوقع في حيرة فيما يجري وكيف يفاتحها في ذلك وكان قد اكد لها حبه وميله الى الاقتراب منها ما امكن

ولكن اذ ان الحرّ متى وعد وفى وجب عليه عدم الاستسلام الى اهواء نفسه وبات تلك الليلة غير ذائقٍ لذة الكرى وهو يفكر

فيما يعمل مع ولدي حنة وفي سفرته البعيدة الغير محدود اجلها

فهب عند انقشاع الظلام قليلا وانار المصباح وشرع يكتب الى حنة منبئًا اياها بكنه الامر ومنذرًا اياها ان بنيته وداعها في بلدتها ولو اقام عندها ثلاث ساعات وانما عمله هذا تتميماً لواجب الاخاء وعملاً بحقوق الاصدقاء والوفاء وان ذهابه اليها سيتم في مساء ذلك النهار حيث يبلغ تلك القرية في الهزيع الثاني من الليل

٣٠

واذ دخلت الغزالة مرقدها دخل ميخائيل عربة القطار فسار وهو يحسب الدقائق ساعات رغبة بالاسراع وفي المحطة الثانية راسل حنة بلسان البرق منبأ قدومه وحين وصوله

واذ بلغ البلدة التقى بشقيق حنة الذي خف لاقتباله حسب نص رسالته التي بعث بها صباح ذلك اليوم لا التلغراف الذي لم يردهم . فاستغرب ميخائيل من عدم اتمام تلك الخدمة في ادارة التلغراف

فأمّ الاثنان المنزل فالفيا ارباب بيابه يتوقعون قدوم القادم الحديث السن والعلاقة . وعادت مياه الانس والبهجة الى مجاريها والتحم جانبا الحبيبين كما كانا متلاصقين قبلاً

ومما يحلو ذكره ما حدث آنئذٍ مع ميخائيل بمشهد حنة وهو

بانه كان قد سبق فارسل اليها مجلة افرنسية تدعى السبت (لسامدي) وهي اسبوعية وكما هو مقرر ومفهوم لدى الجميع بان الجريدة او المجلة ترسل رزماً الى البوستة فيدفع رسمها حسب الوزن ولا تبصم عليها طوابع بريد

وهكذا كانت ترسل تلك المجلة اسبوعياً الى حنة بدون طابع بريد عليها

فالابنة التي هي مديرة شؤون البريد في القرية التي تقطنها حنة تجهل هذه القوانين ٠واذ رأت تلك المجلة بدون علامة تشير الى انها مدفوعٌ رسمها ٠ فرضت على كل عدد رسم ثقله العادي وضعفه جزاءً ٠ واضطرت حنة الى دفع ٢٦ سنتاً جزاءً عن بضعة اعدادٍ وهي قيمة طفيفة دفعتها بدون اباء ولم تشأ ان تقاوم المديرة حباً بميخائيل ٠ بل احتفظت بقصاصة الاوراق التي مقيدٌ عليها قيمة الرسم

فابلغت ميخائيل الامر في زيارته الاخيرة وقالت له : اريد ان اعلمك بذلك لمعرفة قانون البريد وحقوق البوستة ولم اشأ ان اخبرك بذلك قبل اليوم لوجيز القيمة وعدم استحقاقها الذكر

فسالها ميخائيل : اهل لديك مذكرة تستلفت بها انتباه المديرة الى الامر او تثبت عليها صحة الفعل ؟ فارته تلك الاوراق التي اخذها في الغد تصطحبه حنة الى البوستة فسال المديرة :

انني قد بعثت الى الانسة ٠٠٠٠ مجلة ـ السبت ـ فلم غرمتها جزاءً عليها :

— لان المجلة خالية من طوابع البريد ولي الحق ان اتقاضى رسم الحكومة

— نعم ان كان الامر كما تقولين ٠ولكن ما قولك في ان تلك المجلة مدفوع رسمها قبل مبارحة مدينة منتريال ٠ ولو بحثتِ عقلياً في ذلك لحكمت بان كلما يخرج من ادارة البوستة يكون رسمه مدفوعاً ٠وانتِ هنا لاتقبلين ورقة ما لم تتقاضي رسمها

— اذاً ينبغي ان اعتقد بان — لسامدي — خالصة اجرة البريد

— لا ريب في ذلك

ـ وبناءً عليه لن اسأل الانسة حنة فيما بعد لتدفع لي شيئاً

ـ والمدفوع لك ؟

ـ لا ادري

ـ اسالك تمام المعرفة لانك قد غرمت هذه الآنسة مئة وعشرين سنتاً التي استعيدها منك الان

ـ لم اكسب ذلك لنفسي ولم اودعه جيبي بل بعثتُ به الى خزينة الحكومة في (اطوا)

ـ ان كانت القيمة هنا او هناك المامول اعادتها الى المدفوعة منها ٠ واصراري هذا لا لطمع بقيمة بخسة كهذه بل تحصيلا

لحقوق كان يجب عليك عدم ثلمها

ـ ان الماضي قد انصرم والدراهم ليست هنا فاصدق كلامك ما حدثتني به واعدك بعدم تغريم صديقتك بشيء

ـ هذا ما يجب اجراؤه حقاً. انما هذا الدين ينبغي استيفاءه تحت اي الظروف كان الحال

ـ لا اقدر ان اعمل شيئاً ولست مضطرة لدفع ذلك من جيبي

ـ عجباً من جوابك غير المرضي الذي ما ادقني ولا اجلني . فاقول لكِ الان ختاماً امام الحضور بان تلك القيمة ستدفع الى هذه الابنة الاسبوع القادم من هذه الادارة من يدك ان بطيبة خاطر او بعدمها

خرج ميخائيل وحنة واكد لها عزمه على مولاة السعي في سبيل تحصيل القيمة الزهيدة من تلك المديرة الغبية .. ليريها كيف تكون الخصوم

وفي مساء ذلك النهار عول ميخائيل على الاياب الى منتر يال مثبتاً لهم اهمية وقته ووجوب عوده السريع . فلم يقبلوا بل حملوه على الاقامة يوماً اخر للوداع قائلين بانهم سوف لا يرونه لامد بعيد فلا غرو ان اقام عندهم يوماً ثانياً . ثم سالوه عن موعد رؤيته المقبلة

فوعدهم باتمام ذلك في عيد الفصح حيث ينابه امر السعي الثاني في معاودة الشغل في مدينة منتر يال فيقترب من حنة و ينال

المنى. وكان في ذلك النهار يجب ان يكون في نيو يورك قياماً بوعده

واذ توارت الشمس رمسها ودع ميخائيل تلك العائلة والقلوب مظلمة مضطربة والعيون شاخصة اربعة منها اسالت العبرات وتكلمت بلغات تخصها والاخرى عراها الجمود — وبارحهم مودعاً قلبه عندهم ومستعيضاً اياهم به من قلوبهم جمعاء

٢١

جاء منتريال وتأهب للسفر الى نيو يورك في مساء ذلك اليوم ويومئذٍ ذهب الى ادارة بريد منتريال وابلغ قضية الـ ٢٦ ريالاً لمدير فيها والح عليه في تحصيل القيمة فوعده هذا خيراً واخذ عنوان اقامته في نيو يورك

وفي المساء اخذ القطار الذي سار به ينهب المسافات الشاسعة الى نيو يورك العظمى التي بلغها صباح الغد

وفي نفس النهار ابتاع خاتماً ماسياً بحجم يلائم بنصر حنة وارسله ثاني الايام الموافق عيد بدء السنة فكان ذلك احسن تاريخ او موعد للحول المقبل الذي فيه يتم اكليل الحبيبين

فكتب الى حنة معلماً اياها عن بلوغه نيو يورك سالماً وعن ارساله الخاتم بالبريد كعربون خطبة يرجوها قبوله . وكتب الى مدير بوستة منتريال يستلفت انتباهه الى امر الجزاء . وانتظر الجواب

واذا بكتاب ورده من مدير منتريال يشعره بانه ابلغ الامر

الى العاصمة التي لها الحكم والادارة على « بلدة حنة » وان القيمة ستدفع الى ربتها حالاً

وآخر ورده من حنة فيه تقول : (ذهبت الى ادارة البريد لآخذ علماً منكم كالعادة واطمئن عنك واذا بتلك المديرة « ! ١ » تقرأ كتاباً جاءها من العاصمة وقد احتدمت غيظاً وخيبة واذ جاءت على اخره التفتت اليّ شزراً وقالت : هاك الستة وعشرين سنتاً فاغني بها

فاخذت ما اعطتني وانا اضحك من ادعائها الفارغ وخيبة املها لامر شديد وافاها بتأنيب

وبالحقيقة ان هذا الفصل يذكر بشكرٍ لعملك ولو كانت مادته سقيمة انما المرجى نيل النتيجة

ماذا عملت بمستخدم التلغراف ؟ أُلا تفاتحه في هذا الشان وتريه بانك لست من الطيور التي توكل لحومها ؟

وبعد هذه الظهيرة ذهبت الى البريد لآخذ نبأً جديداً منك كعادتي واذا بتلك المديرة تقول لي : الكِ علبةٌ صغيرةٌ من نيو يورك — مسوكرة — فوقعي اسمك في هذا الدفتر

فعلتُ هكذا وتوقعت ان تسالني كم يكون المكس رسم الجمرك على ما تحواه تلك العلبة الصغيرة الذي لم تنظر اليه . ولم تشأ ان

(١) تحقيراً لها

أتداخل في كل ما يهمني او يخصني · ثم ناولتني علبتي وقالت :
هذا ما اريد منك فقط

فاخذت المرسل الي وجئت بيتي فرحة لفوزي اولاً واخراً على تلك الطفولية

ففضضت غلاف العلبة فالفيت فيها هدية فاخرة وتقدمة مقبولة بل حلية ثمينة بل خاتمًا ماسيًا مناسبًا لاصبعي فاشكر لك حبك واخلاصك اياه وقد غدوت مديونة للطفك واخائك بعد قبولي مرسلك كعربون لخطبتنا حسبما توافقنا وتواعدنا فاسأله تعالى ان يحفظك من كل طارئة وكدر و يوفقك في كل امورك و يتيح لي مشاهدتك في الحين القريب

والدتي وشقيقاي يشتركون معي في السرور وتقديم فرض الثناء ورسوم التهنئة لك))

وفي اليوم الثاني اخذ رسالة من ام حنة التي افتتحتها بولدي الحبيب وجعلت موضوعها التهنئة له بخطبته سائلةً الرب مباركتها وتتميم العمل حسب المرغوب واختتمتها بوالدتك المحبة

والوكة اخرى من شقيقي حنة في نفس الصدد ما شجع ميخائيل وحمله على الثبات والاخلاص اكثر

واذ اعاد النظر الى شقة جنة ذكر سوالها عن التلغراف الذي لم تتم خدمته كالمتوجب فسطر كتاباً بلهجة عنيفة ملوءه توبيخ وتانيب منكراً على ذلك المدير ايضاً عمله · واوفده اليه

الذي ما كاد ينهيه حتي احار الجواب مرفوقاً بما تقاضاه من ميخائيل معتذرا عن زلته وشكره لتذكيره اياه بذلك

فاخبر ميخائيل جنة بما فعل وقال لها : انني قد فزت بما ادعيت واجزأك نيل مناك برغم انف تلك المتكبرة الشامخة

وكان يراسل حنة يومياً ويجدد حبيها ومن ذلك ما اعناه :

ان يكن حال بيننا البعدُ رغماً

دون قربٍ فالولا ما أحالا

لو يذوقُ الزمان مرّ بعادٍ

لرأينا حدوثَ بعدٍ محالا

كرس ميخائيل لمراسلته فرصة المساء من وقت العشاء الى السرير وصباح الغد كان يتلقى الصفحات الطويلة من حنة التي اصطلحت واياه على لغةٍ رقمية شخصيه لايفقهـا غيرهما ولا يستعملها الأ هما ...

وقد طال المدى على انتظار رجعى جواب ابوي ميخائيل وتجاوز الثلاثة شهور . فقنط منهما وصرم حبال وصلها بالمكاتبة وقال على الآل والوطن السلام . وبقي مسترسلاً في حب الحبيبة ومراسلتها كل ذلك الحين وأمن جانب آله من حيث الاعتراض عليه ..

****

٣٢

اشخص بالقارىء الكريم الى جلق الفيحآء واهديه الى منزل ميخائيل فنرى هنالك والديه مستسلمين الى الشجون والاحزان وامه تمسح بمنديلها دمعها الغزير وتندب سوء طالعها وما توءول اليه حالها من الحزن والخسف والهوان وعيشها من الجفاء والمرارة بعد الغضارة · التي لم يفدها الكتاب الثاني من ميخائيل المثبت عزمه والمحقق ما اشاعه حتى كادت تقضي نحبها وغابت عن صوابها

فاجتمع حولها الاقارب والجيران بعضهم يعزيها و يلطف مصابها برقيق عبارات دلت على سموّ مداركهم وآخرون جسموا الخطب وهولوا نتيجته وقالوا لها :

ان لم تتداركي الامر للحال وتنقذي ابنك من مخالب مكيدة منصوبة له وهي وقوعه في شرك اجنبي لن يتملص منه · وهذا القدر ليس منه مفرّ

فسألتهم : وماذا تريدون ان اعمل ارجوكم ان تمدوني بارائكم · ان تتحفوني باقوالكم · ان تبادروا الى مخائيل بمكاتباتكم · ان ترشدوه بنصائحكم · ان تقنعوه ببراهينكم · لاني لست قادرة وحدي ان اردعه عن اهوائه فالتمس منكم ان تساعدوني في هته المهمة والا فخسارتي عظيمة وخطبي جلل لقطعي الامل من مهجة فوآدي وحبيبي الذي لن اراه فيما بعد فيقطعني و يقطع

رحمه و يغنَ بتلك الافرنسية عنا وعن وطنه ومواطنيه

فلا كانت ساعة فيها تعرّف بتلك الاجنبية ودقيقة فيها طرق مسامعي ذلك النبأ الذي سكها و ياليتني لم اخلِ سبيله ليذهب الى الغرب و يكون نائياً عني لا اقدر ان اراه او اسمعه او احادثه او اراقبه فآه . واحسرتاه .

فاجمعَ الجمع على تسطير نميقة مسهبة ملوءها حكمٌ وارشادٌ وكلها رجاءٌ والتماسٌ يطلبون فيها الى ميخائيل اجابتهم الى طلبهم مهما بلغ الامر وتوصل اليه حبه معتقدين بالامثال العامية القائلة : من اخذ من غير ملته ماتَ بعلةِ غير علته — وزيوان بلدك ولا القمح الصليبي او الغريب الخ .

فباتفاق الاراء كتبوا رسالة ضافية هذا ملخصها بتوقيع الاب :

ما من الحزم ان تقارب أمراً

تطلب البعدَ منـه بعدَ قليلِ

فاذا مـا هممت بالشيء فانظر

كيف منه الخروج بعد الدخول

ياولدي ان انقطاعنا عن مجاوبتك لوقت دليلٌ على امر ذي بال جارٍ عندنا وهو الحزن الذي جلل بسواده جدران منزلنا وغشي بصائرنا ودواخلنا فاحدث الاضطراب فينـا والحيرة فيما نكتب والاندهال من عملكم وتضارب الظنون فيه لعهدنا بكم

الحكمة والروية والعقل الثاقب والقلب النقي والادب الرائع والراي المنير . فهالنا ما صنعتم وساءنا ما ارتأيتم ولكن :

الرأي يصدأ كالحسام لعارضٍ
يطرا عليه وصقله التذكير

فها نذكركم وننبهكم لغلط منكم صدر وليس بالمستغرب لان : ((الكلّ عالم هفوةٍ ولكل جواد كبوة)) فافيقوا من نشوة غير منتظرة منكم دعتنا حيارى وكنا والناس لاول رسالة وردت منكم بين مكذب ومصدق ومخمن ومرجم الى ان وافتنا الثانية مثبتة صحة اختها فصدقنا وانكرنا عليكم هذا الامر لاننا نعتقد ان عملكم يكون خيرًا من هذا ورايكم دومًا مصيبًا لما الفناه بكم من العقل السامي الشريف ولان ((العاقل الدين شريعته والحلمُ طبيعته والرأي الحسنُ سجيته))

ونحن نداْبُ بمديحكم ونفاخر بادبكم ونعترف بسمو مداركم ونبني عليكم امالنا الوطيدة ونحيي قلوبنا بذكر لنا يخلد بكم من بعدنا فندوم احياء لتخليفنا خلفًا مجيدًا واثرًا حميدًا . ونتوقع ان نفرح بكم بمشهد منا فنقرّ نواظرنا ونفرح افئدتنا . ونراكم الان تتسرعون لاتيان امرٍ قد يكون موافقًا والارجح عدم موافقته وتتميمه بعيد عنا فيصير لكم الفرح ولنا الترح وقد لا يدوم ما يتراءى لكم حسنًا . فمهلاً مهلاً بنيّ ولا تسارعوا الى امور خطيرة

كهذه لانها اما سعادة او تعاسة السنين وهي حياتكم كلها

اذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا تدبرٍ
فانَّ فسادَ الرأيِ ان تتعجلا

فكيف تقدمون على عمل لاتحسبون له عاقبة وقد تتكلون على حلمكم وعقلكم بانكم تستطيعون احسان معاشرة تلك الغريبة ولغتها والقيام بواجباتكم نحوها وتصورتم بكل ما هو سهل وتذكرونه وغاب عنكم كل ما هو شاقٌ و يتعذرُ عليكم القيام بـه . فلا تتهوروا وتتندموا واذكروا قول المثل العربي . ((لاتشرب السم اتكالاً على ماعندك من الترياق))

فما هو الخير المرتجى من غريبة لكم وما هي السعادة المنتظرة في المستقبل لكم ومتى تخالف الذوقان وتضارب المشربان وتباينت الغايتان وتناقض المذهبان وتلاعب على مرسح غايته الشيطان . فل هناك الهول الاكبر واللوم الاكثر والموت الاحمر وقيل (من فسدت بطانته كان كمن غصَّ بالماء) فياولدي ان (اعمالك نية ان لم تنضجها بنية)

فاقلعوا عن الافتكار بعدُ بامر تزوجكم غريبة ليست منكم ولستم منها وما هي معرفة الشهر والشهرين التي لا تخبر الانسان مثل معاشرة السنين . وهل تحكمون بان تلك الافرنسيـة هي كما وصفتموها لنا انما يفهم منه بانها عربية وذلك بعيدٌ وهي اجنبية

افرنسية غريبة . اذكروا قول سليمان الحكيم : ضرراً يضرُّ من يضمنُ غريباً — وفي موضع اخر — خذ ثوبه لانه ضمن غريباً . ولاجل الاجانب ارتهن منه))

فلا يغرّنكم قولها ووعودها ان كنتم معولين على ما ابلغتكم اباه واتبعوا خطة عقلكم الاولى لاميلكم الموقت الذي يصورها لكم الهة الجمال والكمال وقد قال الحكيم : (الغبي يصدق كل كلمة والذكي ينتبه الى خطواته) ولا تبقوا مصوبين رايكم ومستحسنين عملكم غير مكترثين بنصائحنا ومعيرينا انتباهكم لان (طريق الجاهل مستقيمٌ في عينيه . واما سامع المشورة فحكيم وايضاً — كلُّ ذكيٍّ يعمل بالمعرفة . والجاهل ينشرُ حمقاً) اخذاً بقول سليمان الحكيم

انّ اكبر سرور ومعزّ لنا هو زواجكم وفرحنا بكم وهو خيرٌ لكم ايان وجدتم وقيل : من يجدْ زوجةً يجد خيراً و ينال رضىً من الرب اما الان ايها الابن الحبيب . والشهم الحكيم النجيب — فقد تجاوزتم الحد وجئتم امراً معه لانستطيع الى الصمت سبيلا وما يزيد قلوبنا اشتعالا هو ابتعادنا عنكم وعدم مقدرتنا استلام زمام هذه القضية بنفوسنا

ولذلك فتروننا ننتظر اليوم بمثله لناخذ منكم علماً ونبرد قلوبنا بندى درر اقوالكم الرطيب وقيل : (مياه باردةٌ لنفس عطشانة . الخبر الطيب من ارض بعيدة)

نحن ياحشاشتنا لانود جذيكم عن عمل فيه خيركم ولا نردعكم عن البذل في سبيل العلى ولا نسالكم مدنا بنتاج اتعابكم ولا نستعلم عما تعملون وما تجرزون من الراتب والمال فان تحسين ما يؤول الى اسمكم نفتخر به وما تنفقونه لاثرٍ نفيس نتمجدُ بـه ولكن ليس على حبيبتكم فيكون كماءٍ صبَّ في كأسٍ دهاق :

ونافس ببذل المال في طلب العلى

بهمةٍ محمودِ الخلائق ماجدِ

كلاَّ بل نشجعكم على اقتحام صعاب الامور الادبيـة التي ينجم عنها كل ممعة حسنـة وصيت شهير ونقول لكم اجروا مـا تستحنوه في كل شرف اثيل وان افضى بكم الامر الى استنجادنـا في كل شيءٍ فلا نحجمُ عن مدكم به

بادر هواكَ اذا هممتَ بصالحٍ

خوفَ الغوالب اد تجيءُ وتغلبُ

فبحقنا ورضانا عليكم ان ترعونا اذنًا صاغية وتعملوا باقوالنا وتكسبوا ادعيتنا المتواترة وصحتنا التي لاتستكمل الاَّ متى ايقنـا بنسيانكم حبيبتكم حنـة وهجركم اياها وانصرافكم الى شغلـكم وهمكم وشرفكم

ارحموا دموع والدتكم التي تسيل مدرارًا واذكروا حنوهـا الوالدي واعلموا انها تموت كمدًا ان لم ترحموها فتحيوها . اشفقوا

على كبرنا الذي اشعل رؤُوسنا شيبًا · وافونا بالتطمين اسي الجواب بالايجاب وهو الخبر اليقين اسمعوا وصايانا ولاتتهاونوا في امر صرم حبال مودة تلك الافرنسية تبلغ لئلا عوامل الغرام اشدها فتبقهركم وتتسلط عليكم فتصبحون اسيرَ ملكة تلك الحرب اللاقح :

واطع اباك بكلِّ ما اوصى به

انَّ المطيع اباه لايتضعضعُ

وندعي لكم بطول عمر وفلاح وتوفيق ونجاح وصحة تامة وخير و رخاءٍ من لدنِّ فاطر السماء والسماء الداعي لكم

بحنان ابوي

والدكم

ن

....

٢٣

بعد ان انتظر ميخائيل على احر من جمر الغضا جواب آله و يئس منهم بعدئذٍ كما ذكر كان يتقبل محررات من اصدقائه وخلص اخوانه يشيرون عليه بعدم وعده حنة بتز وجها لانها ليست مناسبة وان الامركية او الافرنسيئة لاتصلح للسوري لان فطرتها تختلف كل الاختلاف عن شيم العربي وفي الحين نفسه اقترح

بعضهم في احدى الجرائد العربية النيويوركية ..

«هل الابنة السورية ام الاميركية افضل لتكون زوجة للرجل السوري»

واجبت انا في هذا الصدد مقالة ضافية الذيول مثبتاً مناسبة —الامركية المعهودة —

فكان يجيب ميخائيل رسائل احبه مبدياً لهم حبائه وشكره ويخبرهم بان العلاقة مع حنة اصبحت وثيقة العرى وغير قادر على فصمها

واذ وافته رساله ابيه حلت عليه فوتها كماء مبرد اخمدت جذوة من ضرم الحب والقلق . فوقع في حيص بيص من هذا الامر الفري الغويص . فلا يريد تخييب والديه ولا يشاء تبريد همة وغرام حنة ولا يروم اطفاء غليل حبه بالصد والجفاء بل بالقرب والوفاء ..

فياله من يوم اسود وساعة مظلمة . و ياله من اضطراب عنيف الراحة بعدت والافكار شردت . ما اطار منه الوسن . وحمله على اجنحة الشجن

و بقي اسبوعاً بكامله لاتساعده يده على الكتابة ولا عقله على الانشاء وهو يتقبل رسائل كالعادة من حنة ولا يجيبها نخامرها العجب وسالته عن السبب فكتب اليها معتذراً عن قصوره وقال بانه سيكاتبها بعد قليل منبئاً اياها بجديد لديه من نخوابيه .

فاضطربت تلك لذلك وسالته بلجاجة اعلامها عن حقيقة الحال مهما كانت فهي تقبل ذلك بسرور و يكون من بختها خير او ضيرٌ وتود معرفته مهما كان الامر

واما ميخائيل فكان قد اطلع بعض اصحابه في الجهات يستشيرهم في هذا الامر وماذا يجيب اهله وماذا يعمل في علاقة البنت التي اخلصته حبها وهل يقابل وفاءها بنقض العهود وهل يقتضي تبليغها ما كتب اليه ابواه عنه لانه اعتقد بانهم لا يغيرون افكارهم من حيث البنت التي لم يختروها زوجة له

فافاده بعضهم واجاد واخرون محضوه النصيحة بالاذعان الى اوامر والديه اللذين ينظران الى مستقبل الايام و يحكمون على الشيء باختبارات ماضيهما لانهما محنكان

واذ عمت تلك الاشاعة وانتشرت في انحاء الولايات المتحدة وجهات كندا نالت ارضُ حنة رشاً من رشاش ذلك النباء المهم لذويه والعديم الاهمية لسواهم

فاستاءت كثيرًا وغمها ذلك الخبر المكدر وكتبت الى ميخائيل قائلةً :

ان كان صحيحاً ما بلغني وما وددت اخفاءهُ عني فيكون من سوء طالعي ولكن لي ملء الثقة بتعقلك ودرايتك ان تقنع اهلك بان الامر بخلاف ما سمعوا ان كان ذلك عن خبر ترامى اليهم او غير المظنون ان كان عن تخمين وتنبوء . وان كانوا يخشون

حرمك ايامم من رؤيتك لاضطرارك بالاقامة معي في هذه البلاد فطمنهم بيقين انني ارفقك الى دمشق الشام وايان تذهب اذهب فما ضرني لو اتممت ذلك ٠وكله عرضي عند جوهر التجاب والاخلاص٠ ومتى اخذت جديداً من الوطن فدني به

اقبل شعائر حبي وحاسياتي مشفوعة بمثلها من والدتي وشقيقيّ

محبتك الثابتة

بامانة في حبها

حنة

.. ..

وكما لحق الرش بحنة اصاب ارض اسرتها في مدينتها (ثلاثة الانهر) فهاجوا وماجوا وكتبوا الى امها وقريبتهم ان تقف عند هذا الحد من الغي والعناد الذي يسوقها الى وخيم الغبة

متشبثين بما بلغهم عن ميخائيل بانهم طالما حينئذٍ رأوا ان الغريب السوري الذي يتشرف بانتسابه اليهم منعه اقاربه عن تزوج ابنتهم لمعرفتهم عدم مناسبة تزوج الرجل الا ابنة وطنه وهم بذلك مصيبون فوجب عليهم اذاً (اي اسرة حنة)ان يحاكوا السوريين بعملهم و يكتفوا بما لحقهم من تحدث الناس والهزء بهم والحوا على الام بعدم انقيادها الى ميل ابنتها ان كانت

لاتزال مصرةعلى الاسترسال في هوى ميخائيل

واذ انقلبت الحال وتغير المصير ووقع الحبيبان في عذاب

غليظ اجابت حنة داعي الضرورة واخبرت ميخائيل بان خالتها وجدتها وفلاناً وفلانة من ذوي قرباها قد خاطبوها ووالدتها بالالة التلفونية وكاتبوها بما سبق الالماع اليه

فصار الاثنان كمن كسرت به الباخرة في عرض البحر فعثر على دفة صغيرة فركبها واصبح على وشك الغرق لمداهمة الخطر اياه من وقت طال واسماك تدنو منه تبغي التهامه وموج عنيف يلطم تلك الدفة الصغيرة وقرّ قارس فاخذته قشعريرة وخوف شديد احرمه الرقاد وكلال عراه فاذاب صبره وجوع اودى به وعطش مع حر النهار احرقه وقنوط استولى عليه فصور له الموت الواناً مريعة ومع كل ذلك فامله بالخلاص من سفينة تمخر نحوه فتنتشله من الردى يجدد قواه

هكذا اصبحت حالة ذينك المحبين اللذين بذلا كل وسع في سبيل الثبات والمروءة والوفاء

كان ميخائيل يراسل والديه بلا انقطاع في هذا الشان مبرهناً لهما عن خطاها ومؤيدا صحة قوله وعمله ومثبتاً لهما ان حنة هي ليست كما يزعمان او يعتقد الاقدمون او يستريبون بعوائد الافرنج . فذهب كل قوله سدىً اولئك الدمشقيون حرضوهُ على عدم الافتكار بتة بحنة وهكذا حظروا عليه امر مكاتبتها مستحلفينه بالطاعة الوالدية والمحبة البنوية سماع صوتهم واجابة ندائهم والعمل بوصيتهم.

فكان الامر اخف حكماً على ميخائيل من حنة التي كانت تناهض كل اقاربها الادنين مصرةً على عدم صرم حبيبها ودّها

فانهى المسألة ميخائيل بكتاب الى حنة فيه يقول : انني لا ازال مبرماً على آلي في الجدال لاقنعهم علهم يسلمون بطلبي . لانهم وان لم يشدوني في الوثاق ولم يضربوني بعمد الحديد ليجبروني على الاقلاع عن العلاقة المتينة التي بيننا فاني تقديراً لافضالهم السابقة واجابة لصون الانسانية والوصايا الالهية القاضية بطاعة الوالدين ابقى محافظاً على كرامتهم ومنتظراً جوابهم الحامل رضاهم عني وقبولهم طلبي والمبارك عملي . وارى انك تحكمين بصوابية رايي لانني اعترف بطاعة الوالدين كما انك تجلينها عملاً بوصية الرب القائل : اكرم اباك وامك ليحسن اليك و يطول عمرك على الارض

محبك

ميخائيل

همدت نار المراسلة بعد تأججها من ذكاء المعنى من حيث الشعائر القلبية والمبنى من حيث حجم تلك الرسائل الضافية الذيول . واعتيض عن اليومية بالاسبوعية ثم لسبب جهله ميخائيل قد عرا حنة داء القاها طريحة الفراش فبقي زائراً احشاءها الاشهر الطويلة في خلالها لازمت سريرها وانقطعت عن المكاتبة ضرورةً .

وقبل مرضها جاءت مدينة منتريال لامتهان صناعتها وهي

اصلاح القبعات النسائية · ولينتأمل القارىء في كيفية الابتعاد فانها لما كانت في مدينة (ثلاثة الانهر) كان هو في منتريال ولما غادرها الى نيو يورك جاءتها هي

واذ اشعرت بانحراف صحتها وتألمها من ذلك بارحت منتريال عائدة الى امها وكتبت الى ميخائيل رسالتها الغائية وهي:

قد خارت قواي ولا ادري ما هو الذي عراني فقد حل في كل اعضاء جسمي فاخذ مني ماخذاً عظيماً وها انا لا احسن عمل شيء وارى انحطاط جسمي يخيفني كثيراً و يحملني على الذهاب الى امي لانني لا اريد ان اموت في منتريال بعيدة عن عينيها

لاتساعدني قواي على الاسهاب اكثر بل اعدك بمعاودة مكاتبتك متى نقهت · والتمس منك الا تحرمني من اقوالك اللطيفة التي تعزيني وقد تكون معينة للدواء لدائي · ولك مني كل محبة ·

حنة

. . . . . .

٣٦

فاستولى على ميخائيل الغم الذي عوامله المشتركة مع عوامل اليأس والخيبة اقلقت راحته وحولت افكاره عن شغله واهتمامه بنفسه حتى من فرط استسلامه الى الامى اصبح محتاراً لا يدري ماذا يعمل!

وكانت نتيجة شجوه قطع المكاتبة مع الفريقين الدمشقي والكندياني ولكنه احار جواب كتاب حنة الذي فيه انباته بحوم غراب المرض فوق هامها

و بعد اسبوعين وافته رسالة من الام تشعره بان حنة تحت مرض عضال وقد ذهبت الى البرية لتتنشق نقي الهواء وتفرج هموماً لا هماً وان ذلك ما اخرها عن مراسلته

فصبر اياماً لياخذا علماً بابلالها ولما لم ينل خبراً لم يشأ ان يكتب ثانية ما لم تفتتح هي ذلك بعد هجرٍ طويل . وكانت رسائل والديه المتواصلة تغرس في فواده جذور النفور من حبيبته فعلقت ولم تنمُ فكادت تجف لان ليس لها اصل

واما اعراض حنة عن المكاتبة فقد ازعجه واثر فيه ودعاه يستنكف من مكاتبتها لظنه بها انها هي البادئة بالهجر ولذلك فيضارعها بالعمل و يريها بانها ليست ارفع منه وعول على عدم مراسلتها ما لم ياخذ كلمة منها يفهم بها ضميرها

و بعد ان مضى بضعةُ شهور على اضطجاع حنة على سرير الآلام نقل ربها المها الى شقيقها الاكبر فهبت وهي نحيلة الجسم متوعكة المزاج الى تمريض اخيها واناطت امر خدمة المنزل بامها فتتابعت الشهور وهي منهمكة بتطبيب نفسها وخدمة شقيقها وانتظار كتاب من ميخائيل لذكرها انها كتبت اليه ولا تزال تتوقع رجيع كتابها

فظنت سوءًا بمخائيل وهو مثلها و بعضُ الظنِ اثمٌ :

فلا تتبع الظنَّ ان الظنونَ
تريك من الامر ما لم يكن

فالظنون والاوهام والانهماك بشواغل عديدة اضاعت هدى الاثنين وصارًا يذكران كل دقيقة من ايامهما الخالية بكل اسفٍ ودموع سخينة :

كم فرصة ذهبت فعادت غصةً
تشجي بطول تلهف وتندمِ

٢٥

فمن شدة لهجة آل ميخائيل وكرم اخلائه بلجاجتهم بصرم حبل ودِّ حنة اشعر بان عوامل قوية تثبط عزمه عن اعادة الكرة الى حومة حبها . وهكذا قل عن تلك التي حملها ذووها على جفاء خلها السوري فانقاد الحبيبان الى اراء من يلوذ بهما واستسلما الى شجون خفية شدة حرارة الحب المستقر في دواخلهما تجيشهما ووابل اقوال بطانتهما تبردها ولكنها ليست لتطفي غليلاً

واذ تقلبت الشهور على سترِ الصد المنسدل على مربع الهوى سئمت النفسان احتمال هذا المضض . وعوّل كل من ربيهما على الثبات على الاباء وعزة النفس لعلم كلٍّ منهما بانه لم يسيء

الى خليله بان ذلك الذي ابتدره بالهجر

وهكذا فات الموعد الذي ضربه الحبيبان للزواج وهو اثنا عشر شهراً تمضي بعد عقد الخطبة . وصار كلٌّ منهما يستعلم سرًّا من اخرين عن حال وقلب الثاني

واذ قضي على حبهما شهيد الطاعة الوالدية والعنفوان والاعتداد بالنفس لدى الواحد الثاني بانه ليس بارفع منه مقاماً نسبياً ومادياً

وما تاكد لي بان الخلين لايزالان وفيين وثابتين على حقوق الولاء وظلام الهوى قد سود فوآديهما ولدن ذكر اسم احدهما لدى الثاني يتنفس الصعداء رغما عن اخفاء ما كمن في قلبه وحالهما بعد هذا الاعراض يصفها (ابو الحسن عليّ بن زريق البغدادي) اذ ينطبق قوله على حال كلٍ منهما لانهما متساويان قوة في الحب « الذي هو قويٌ كالموت وهذه هي الابيات :

اعتضت من وجه خلي بعد فرقته ... كأساً تجرع منها ما اجرعه
ما كنت احسب ان الدهر يفجعني ... به ولا ان بي الايام تفجعه
من عنده لي عهدٌ لايضيع كما ... عندي له عهد صدق لااضيعه
ومن يصدعُ قلبي ذكره واذا ... جرى على قلبه ذكري يصدعه
لاصبرنَّ لدهرٍ لايمتعني ... به ولا بيَ في حالٍ يمتعه
وان يدمْ ابداً هذا الفراقُ لنا ... فما الذي بقضاء اللهِ نصنعهُ

فقضى حبهما وقضى على قلبيهما

— تمت —

﴿ خاتمـة ﴾

انني في روايتي هذه والحقيقة الشاهد الوحيد توافقها شهادة من علق في اذهانهم ذكر بعض هذه الحكاية في مملكة كندا من السوريين لم اخط سوى كل صدق ناهجًا منهجًا افرنجيًا في نسق ترتيب وخط الرواية مجتزءًا بالحقيقة دون زيادة او نقصان في تحرير الخبر لعل الحقيقة تأتي باللذة المرتغبة الى القراء الكرام . لان السواد الاعظم منهم يتوقع ان تقع في يده رواية خبرها صدق دون تفنن في اساليب كتابتها من حيث التحريف والتصحيف والمجاز والايجاز والمبالغة والايهام لاعتقاد الجسم الاعظم من الروائيين بان الرواية ان لم يتخلل فصولها مشاهد غريبة تلذ المطالعين وتتوق الى اعادة مطالعتها نفوس المغرمين لا تصلح ان تنشر وتوضع في المكاتب وتعرض الى البيع وتطلب دومًا لشهرتها وغرابة وقائعها . فانا لست ممن ذهب الى تلك الغاية ان ادبيًا او ماديًا .

ولو وقف الكاتب الاديب . وقوف الصديق الحبيب . على سر هذه الحال . والداعي الى سجم هذه الاقوال . لغض الطرف عما يسوغ له انتقاده وعفا اذ لم اكن عازمًا على انشاء هذه الرواية ولا على نشرها

الا انى اجابة لطلب اقاربي الكثيرين واخلائي العديدين الذين أخذوا على عاتقهم الاشتراك بروايتي هذه حتى لا يبقى منها

نسخة فشجعوني وهممت بتحبيرها وفي الحين نفسه كنت امـد المطبعة بما انجزه يومياً بسرعة كلية فيها يراعي سبق الافكار بتنضيد بناتها وانا بعيد عن نيو يورك

فعسى كتابي هذا يصادف قبولاً لدى قرائه الكرام الذين اشكر لهم لطفهم وكرم اخلاقهم وحبهم اياي سائلاً ادباءهم الافاضل العذر عن هفوات يعثرون عليها اهمها مطبعية لان الحروف جديدة والوقت كان ضيقاً جداً لدي

ولا بـد لي من الاشارة ثانية الى ان كتابي هذا لم يطبع لينشر على سبيل الاتجـار والمنفعة المادية لانني اعلم الان بان القصص والروايات والرومان اصبحت كسوانح الغربان وبوارح الغزلان فسئمتها النفوس ووقعت الحيرة في اي منهل يرد الظمان واي الطعام يغتذي الجيعان :

تكاثرتِ الظباءُ على خراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيدُ

كاتبـه

ميخائيل ناصيف

زربطاني

اصلاح غلط

ولا بدّ لي في هذا المقام من الاشارة الى بعض هفوات وهذه اهمها:

صفحة	سطر	غلط	صوابه
١	الاخير	ذلك	ذاك
٧	٢١	انسيتي	انسيتِ
١٣	٩	أكون	أكن
٢٠	١٣	قلبها	قبلها
٢٧	١٤	ابها تشرف	ولكنها تشفُّ
٣٥	١٢	يتعاطى	يتعاطَ
٤١	٥	الخالت	الخالة
٤٢	٩	خلالها	خلالهما
٥٤	١٩	التجية	القمة
٥٨	٨	غير	خير
٨٣	١٨	عوائل	عوائد
٩٠	٤	احور	اشور
١٠٣	٦	اضعاث	اضغاث
١٠٩	١١	مولاة	موالاة
١١١	٤	منكم	منك
١٢١	٦	احبه	أحبته
١٢٨	٩	كرم	كرام

—*✻ زهرة سورية ✻*—

لم يبقَ احدٌ في داخل الولايات المتحدة وخارجها الا وسمع ببضائع زهرة سوريا واردنا وهي السمانة الشرقيـة والامركية التي اخذنا فيها قصب السبق على سوانا . فلدينا العرق الزهرة المشهور وايضاً العرق المثلث الذي منه نمره١ ونمره٢ الذي يعصر و يعالج خصوصاً لاجلنا ولذا فهو عملنا وواردنا وكذلك التنباك العجمي الفاخر ابو نقطة . وقد وسعنا دائرة اشغالنا واتخذنا البناية الجديدة المؤلفة من خمسة طوابق وملأنا محلنا من (الكروسري) بانواعه . فلدينا دائماً خارج الكمرك من العرق والتنباك على اهبة الشحن لكل طالب من خارج الولايات المتحدة واما اسعارنا فهي متهاودة جداً ومن رام التجربة ولم يسبق له معاملة معنا فليرسل ديبوزيتو او له معرفة باحد التجار في نيو يورك فليشر لنا عنه و بذلك كفاية

سابا اخوان

SABA BROS.

90 Washington St. N. Y. City

—عرق سعاده—

انا قد اجتهدنا باستجلاب اجود ابضائع وانخرها من كل انواع الاواني النحاسية والاراكيل والنرابيج وسائر اصناف الحبوب والمربيات والمشروبات والماكولات وكذلك التنباك العجمي الفاخر الذي سجلناه بماركة الجمل الاحمر ولدينا العرق الزحلاوي الفاخر الذي سجلناه بماركة العين · واحدنا مقيم في الوطن يتسوق بنفسه البضائع باذلاً الوسع في حسن انتقائها ما جعل لها رواجاً كبيراً في داخل الولايات المتحدة وخارجها واما اسعارنا فهي في غاية المهاودة وطريقة معاملتنا مع الجميع هي ان يقدم لنا الطالب ديبوزيتو ونحول عليه بالباقي ومن لم يسبق له معاملة معنا فليجرب طلبية ان تكرم

سعاده اخوان

SAHADI BROS.

93 Washington St. N. Y. City

✻ منتريال كندا ✻

كل اخواني السوريين في منتريال او بالحري في كندا كلها يعرفون بانني اقدم من افتتح محلاً للسمانة السورية فيها ولي الخبرة الطويلة في هذه التجاره واذ قد اتسع نطاق البضائع عندي قد اتخذت كل البناية التي انا فيها مخصصاً اياها لهذه الخدمة . فلدي توجد الخمور المعتقة والنبيذ وارد شتوره والعرق المثلث الفاخر والزيت المنوع والزيت التلياني كذلك كل انواع المربيات والحلويات والتنباك العجمي والاراكيل ولوازمها وكلما يهم السوري معرفته والكتب والقصص والروايات الموافقة الاذواق واما المعاملة معي فترضي اياً كان من حيث مهاودة الاسعار وجودة البضاعة

ابو سمرا الخوري

ABOOSAMRA KHOURI

21 Bonxcsurs St. Montreal Can.

الارباح في المشترى

الى ابناء الوطن الاعزاء المنتشرين في كافة اقطار العالم—

انــه عند ما تلزمكم بضايع من اي نوع كان اذكروا بان لكم محلاً في نيويورك مؤسس من سنة ١٨٩١ يتاجر في جميع انواع البضايع اهمها الاقمشة والخروجه والاسبرودري والجولري والخردوات والملبوسات والمفروشات والعوينات وكل الاصناف الزجاجية والماكولات على تعدد انواعها ولوازمها والاسلحة والقواطع وصناديق الحديد للنقود

ايضاً يصطنع هذا المحل لحسابه الخصوصي وتحت ماركتــه (فاعور) الاصناف العطرية الفاخرة مثل كالون فاعور ويوسف بك كرم وسويت ١٦ ومر بان بل المستقطرة من الورد والبنفسج وغيره من اطايب الزهور — وصابون فاعور تركش روز الذي فاق غيره برائحته الزكية وطيب منفعته ثم بواليد فاعور التي حازت الشهرة التامة لدى الجميع مع بواليد يوسف بك كرم — وماكنلي — وقيصر وليم — وواشنطون — ولافاييت ثم المقصات التي يصطنعونها ايضاً تحت هذه الاسماء وكل هذه الاصناف والمتقدم ذكرها اضحى امرها مشهوراً ومشهوداً لها بهاودة الاسعار

وزد على ذلك انهم اصحاب البنك السوري الوحيد الذي يسلف دراهم ويشتري ويبيع عقارات ويقطع بوالس على اشهر بنوكة العالم ويبدل نقود — ووكلاء لاعظم شركات بواخر اقطع

جوازات سفر لكل الجهات وبالاخص الى سوريا ومنها
ويصرفون المحصولات تحت العموله

فعليه اعتمد ايها القارئ الكريم في كل اعمالك على هذا المحل حيث توفر في المشترى وتكون امينًا على مالك ومرتاحًا في اشغالك — وهذه ثمرته فاحتفظ بها

دانيال يوسف فاعور واخوانه

D. J. Faour & Bros.

63 Washington St. New York City

السبندرس

ان المحل ذا العنوان ادناه قد اشتهر باستقامته واقدميته ومهاودة اسعاره وهو يصنع كل لوازم السبندرس من بكل معدن وتنك وشريط حتى و يقدم اطراف السبندرس كاملة من جلد و بكل وكلما يلزم مواطنينا السور بين الذين يشتغلون السبندرس في محلاتهم . فننصحهم بمكاتبة هذا المحل فيرون كل جديد مفيد (رخيص) ومتى جربوا تحققوا حقيقة الامر وهوذا عنوانهم

W. F. ASTON
230 Java St. Brooklyn N. Y.